

النفع والضر

هل ينتفع المسلم بعبادة غيره وهل يضار بمعصيته ؟

كتبه الفقير إلى عفو ربه القدير
الشيخ عبد العزيز البرماوي
عفا الله عنه



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
اسكندرية - آخر ترام النزهة - شارع قنال المحمودية
تليفون : ٤٢٠٢٣٣٣
صاحبها ومديرها /يسري محمد عبدالله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

أحمد الله – تبارك وتعالى – حمداً مصحوبا بشكره والإنابة إليه ، وأصلى وأسلم على نبيه محمد – ﷺ – صلاةً مصحوبة بمحبته والثناء عليه ، وأطلب من الله رضوانه عن الذين أخلصوا فى خدمة الإسلام والسمو بأهله ، وأتمنى لأمة محمد أن يعيد الله إليها عزتها ، إنه أكرم مسؤول آمين بعد ، فإننى لست من الذين يتفرغون لتأليف الكتب لأسباب متعددة **منها** : أننى لا أحب التأليف فى موضوع مّا إلّا إذا أدركتُ أن الناس يجدون فيه نفعا هم محتاجون إليه ، والذين ألّفوا فى هذا كثيرون ولله الحمد ، فما من معنى إسلاميٍّ يخطر على بالى إلّا وجدت غيرى قد سبقنى إليه ، وأفادنى فيه .

ومنها : أننى وجدت استفادة المسلمين فى السماع أكثر من استفادتهم من القراءة ، ووجدت كثيرا ممن يحبون جمع الكتب جمّاعين للكتب فحَسْب ، وعنده من الكتب ما لا يقرأ منه إلّا القليل ولا أنكر أن لاقتناء الكتب ميزة ، وأن للاستماع ميزة ، ولابد منهما . ثم وجدت أن المكتوب أبقى وأخلدُ من المسموع ، فكم من دروس ألقيت فى المساجد ثم نُسِيَتْ .

ولكنّ الذى أثارنى نحو الكتابة أننى قرأت فى سن الصبا لكاتب حاقد على الإسلام فى بعض المجلات كتابة تثير شبهات ضد الإسلام ، ولولا عناية من الله لى لتأثرت بها فكنت حريصا على دفع هذه الشبهات عن طريق المسموع أو المكتوب ، فكان مما قرأت هذه الشبهة التى من أجلها كتبت هذه الرسالة .

والعنوان الذى اخترته لهذه الرسالة : المشكلة والحل فى ضوء الإسلام ، سلسلة متصلة الحلقات ، أُولى حلقاتها هل ينتفع المسلم بعبادة غيره ؟ وهل يضار بمعصية غيره ؟

وقد أحببت أن أجعل رسالتى هذه فى صورة مشكلة وأن أُتبعها بالحل ، أجعلها صراعا بين اتجاهين ، وأذكر لكل اتجاه ما يستند إليه ، ثم أذكر دليل المنتصر ، وتلك هى سمة البحوث ...

ضرورة الكتابة فى هذه المعانى .

يحاول أعداء الإسلام أن يَنْفُذُوا إلى الإسلام عن طريق إثارة الشبهات ، فيصفوا الوحى قرآنا وسنة بالتناقض والتعارض ، ولو أن هذا التوجيه السّيء نجح – لا قدر الله – لوُجد فى الأمة من تنعدم ثقته بهذا الدين ، فلا يحبه ، ويكون من السهل – معاذ الله – أن يُعرِضَ عن التحلى بفضائل هذا الدين الحنيف ، وقد يجد بعضُ المؤمنين حرجا وضيقا من هذا الذى يسمى فى الظاهر تعارضا .

وقد نجد من الدعاة مَن يأخذ من النصوص ما يفيد أن المسلم لا ينفعه إلّا عمله ، صارفا النظر عن النصوص التى تفيد أن من رحمة الله أن بعض الناس ينتفع بعبادة غيره وقد نجد من الدعاة من يَقْصرُ دعوته على بيان انتفاع الإنسان بعمله وبعبادةَ مشايخه وأجداده ، وأن مجرد الانتساب إلى الحسن والحسين أو جعفر – رضى الله عنهم – كاف فى نجاتك وإن لم تفعل .

ماذا نصنع أمام هذه المشاكل ؟ ماذا نصنع ، ليعين الله على أن نَبُثَّ اليقين ، حتى يحلّ اليقين محل الشك ، ماذا نصنع ، لنبين للناس أنه ليس هناك تناقض وأن ديننا قد جمع فى توجيهه بين تكوين الشخصية المستقلة وبين اندماج المسلم فى مجتمعه ينفع وينتفع ويأخذ ويعطى لقد ذكر الله عز وجلَّ مِنْ فضله علينا أنه يُخرجْنا بهذا الدين من الظلمات إلى النور فما تلك الظلمات ؟ إنها ظلمة الشهوات وظلمة الشبهات ، وإذَنْ فلابد من النور الذى يقى المسلم من ظلمة الشهوة ، ويخرجه منها إلى العفة ويزيل من طريق المؤمن ظلمةَ الشبهة ويخرجه منها إلى اليقين ذلك هو الذى أرجو أن أبذل فيه ما أستطيع ليحلَّ اليقين – إن شاء الله – محلَّ الشك .

وإذَنْ فمهمتى هنا هى أن أُبرز الصِّرَاعَ بين الذين يُمْعِنُونَ فى ادّعاءِ أنه لن ينتفع أحد بعبادة أحد والذين يَدَّعون أن عبادتك قد تنفع غيرَك وأن المعصيةَ قد تضر غير العاصى ثم أصل إنْ شاء الله إلى ما يوصل إلى اليقين .

الخطوات التى اتخذتها فى البحث بعد التمهيد

- عرض النصوص التى تفيد بظاهرها أنَّ عملك الصالح ينفعك وحدك ولا ينتفع به أحد غيرك .
- عرض النصوص التى تفيد بظاهرها العكس وهو أَنّ عملك الصالح ينتفع به غيرُك .
- التوفيق بين هذه النصوص وبيان أنه لا تناقض فى الحقيقة وإنما هى شبهات تزول إن شاء الله .

قال تعالى : ﴿ **ولا يأتونَكَ بِمَثَلٍ إلَّا جئناك بالحقِّ وأَحْسَنَ تفسيرا** ﴾(١) أى لا يأتونك بشبهةٍ إلَّا أنزلنَا عليك مِن الآياتِ ما يدفعها ويبطلُها ويُحِلُّ اليقينَ محلَّ الشك .

- المقصود بالنصوص : القرآن – والسنة – ما كتبه إمام جليل يُعتدُّ به .
- الانتهاء بالبحث إلى أن انتفاع المسلم بعبادة غيره مقيدٌ بشروط .
- الحكمة فى أن الإسلام عَرَضَ النصوص فى صورة قد تبدو للجاهل متعارضة : (أ) امتحان من الله . (ب) إظهار لقيمة العقل المسلم وأنه ليس مُعَطَّلا.
- من أنواع الانتفاع : الشفاعة – الدعاء – العمل بدعوة الداعى إلى الله إذا دعا بقوله وعمله ..
- عرض النصوص التى تفيد بظاهرها أن معصية زيد قد تضر عَمْراً ، ومتى لا تضر ؟ أعنى هل يتضرر المرء بمعصية غيره ؟ وإلى أى مدّى ؟ وكيف ذلك ؟

- ما مصير الكافر الذى يقوم بخدماتٍ للإسلام ثم يموت مع هذا على الكفر وكيف انتفع أبو طالب بدعاء النبى ؟
- انتفاعك بعبادة غيرك انتفاعٌ أُخروى محض أم ينتفع المرء بعبادة غيره انتفاعا دنيويًّا ؟ ﴿ **أما الجدار - وكان أبوهما صالحا** ﴾ [الكهف : ٨٢] .
- متى لا تنتفع بعبادة غيرك ؟ هل لذلك علاقة بحديث : « **تُعْرض علىَّ أعمالُكم** ؟ » .
- ترقيم الآيات وتخريج الأحاديث سوف يحظى بعناية فى حدود الاستطاعة إن شاء الله .
- هل كل عمل تقصد به نفع الحى والميت ينفع ؟...

وبعد ، فلا شك أن كاتب هذه الرسالة بشر يخطىء ويصيب ، فإن كان عند القارىء نقد برىء بنّاء خالص القصد تقبلته على أنه نصيحة أدعو بها للناقد ، إذ قد أهدى إلىَّ عيوبى ونقول حسبنا الله ونعم الوكيل إزاء ناقدٍ هدَّام .

هذا : وقد عرضْت هذا البحث على أخى فى الله صاحب مكتبة الإيمان (يُسرى محمد عبد الله) فإبدى ترحيبا وتأهّل لطبعه ونشره .

هــذا البحــث

هل ينتفع المسلم بعبادة مسلم آخر فى الدنيا وفى الآخرة ؟ وإذا كان الجواب (نَعَم) فكيف يتفق هذا مع قوله - تعالى - وأَنْ لَيْس للإنسان إلا ما سَعَى وهل يُضَرُّ إنسان بمعاصى غيره ؟ وإذا كان الجواب (نعم) فكيف يتفق هذا مع قوله - تعالى -: ﴿ **ولا تزِرُ وَازرة وِزْرَ أخرى** ﴾[1] ونحن مؤمنون - ولله الحمد - أن القرآن منّزه عن الاختلاف والتعارض والتناقض بين آياته ، نعم قد يبدو للقارىء أن بين آيتين تعارضاً ولكن هذا التعارض يطرأ على ذهن إنسان بعيد عن تفهم القرآن ، ومن جهل شيئا عاداه فإذا عاشرت القرآن وجدته مؤتلف

الآيات لا ذرة للتناقض فيه وذلك التعارض الذى قد يبدو – تتكفل هذه الرسالة بدفعه – إن شاء الله – بدون تكلف ، وإنَّ أعداء الإسلام يعرضون الشبهات ؛ ليصرفوا عنه قلب المسلم ويااليت العلماء يعطون هذا الجانب من عنايتهم .

والله أسأل أن يعيننى على إتمام حلقات هذه السلسلة : المشكلة والحل فى ضوء الإسلام وأنْ يجعلها خالصةً لوجهه ، وأن ينفع بها كاتبَها ويجعلَها فى ميزان حسناته وأن ينفع بها قارئها والمعينَ على نشرها والانتفاعِ بها إنه نعم المولى ونعم المصير .

وكاتب هذا البحث ليس عملاقاً صاحب ميزات ، وإنما الذى أشْرُفُ به هو أننى خريج كلية أصول الدين ثم إجازة التدريس بالأزهر الشريف ، ثم إننى تتلمذت فى المدرسة التى تربى تلاميذُها على أخذ الدين من نَبْعَيْهِ الصافِيَيْن ، وعلى أن نأخذ هذا الدين نقيا صافيا من الدخيل ، وعلى أن ندفع الشبهات التى إذا ملأت القلوب بظلمتها – لاقدر الله – أدَّتْ بالعبد المصاب بذلك – إلى أن تنعدم ثقته بعظمة هذا الدين ... وعلى أن نهتم بأمر المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منا :.

الأمر الذى لا إشكال فيه .

إنّ انتفاعك أنت بعملك الصالح ، وتضررك أنت بالمعصية – أمر لا إشكال فيه وليس هو مقصودى هنا ، فمن أراد أن يتزود فى هذا المعنى فعليه بكتاب الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافعى لابن القيم [وبعض الناشرين : سماه الداء والدواء] .

إجمال للعبادات التى تفعلها وينتفع بها أخوك المسلم .

إنها كثيرة أذكر منها :

١ – الدعاء له فى حياته وبعد موته .

٢ – دعوتُك إياه إلى أن يفعل المأموراتِ ويتجنب المنهياتِ .

٣ – أن تكون قدوةً حسنة عمليةً أمامه .

٤ – أن تشيّعه وتصلى عليه وتقف عند قبره تدعو له أن يثبّته الله عند سؤال المَلكَيْن .

٥ – أن ترعى أولاده من بعده .

٦ – أن تحسن العمل وقد دعاك أبوك لذلك ورباك عليه فولدُ الرجال من كسْبه فعملك بهذا ينفع أباك وأمك .

٧ – أن تقضى دَيْنه حياً وميتا .

المغالاة والوَسَطيّة :

لن نتغالى إن شاء الله فنقتصر على النصوص التى تفيد أن عملك الصالح لن ينتفع به غيرك ولن نقتصر على النصوص التى تفيد أن أعمالك الصالحة تفيد غيرك ... ولن نقتصر على النصوص التى تفيد أنَّ معصية زيد لا تضر عَمْراً مطلقا ، ولن نقتصر على عكس ذلك .

لأن المغالاة فى الاتجاه الأول تغلق فى وجوهنا كثيرا من أبواب الرحمة ، وإن المغالاةَ فى الاتجاه الثانى قد تجنح بنا إلى إهمال العمل اعتماداً على أعْمال من سبقونا .

وقد وعدت أن أعرض البحث فى صورة مشكلة يتبعها حلُّها تشويقا للقارىء أن يظل مع البحث إلى نهايته منتهيا إلى حقيقة سليمة تكون هى منهجه إلى الممات .

الطائفة الأولى من النصوص وأرمز لها بالحرف (أ) .

قال تعالى : ﴿ **واتّقُوا يَوْماً لَا تَجْزى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلَا يقْبَلُ منْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ منْهَا عَدْل وَلَا هُمْ يُنْصرُونَ** ﴾ [البقرة : ٤٨] وقال : ﴿ **واتقوا يَوْماً لَا تَجزى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شيّئاً وَلَا يُقبَلُ منهَا عَدلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُون** ﴾ [البقرة : ١٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ...** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] وهذه آيات من سورة البقرة ،

وقال تعالى : ﴿ **مَنْ اهْتَدَى فإنّما يَهْتَدى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإنَمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى ...** ﴾ [الإسراء : ١٥] . وقال تعالى : ﴿ **وقالَ الذين كفروا للذين آمنوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَّايَاكُمْ وما هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خطَايَاهُمْ مِنْ شَىْءٍ ..** ﴾ [العنكبوت : ١٢] وقال تعالى : ﴿ **يأيها الناسُ اتَّقُوا ربَّكُمْ واخْشَوْ يَوْماً لا يَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَولُودٌ هُو جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شيْئاً ...** ﴾ [لقمان : ٢٣] وقال تعالى : ﴿ **أمْ لَمْ ينبأْ بما فى صُحُفِ مُوسى وإبراهيمَ الّذى وَفَّى ، ألّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وأَنْ لَيْسَ لِلإنسانِ إلّا مَا سَعَى** ﴾ [النجم : ٣٧-٣٩] وقال تعالى : ﴿ **يوم لا يُغْنِى مولًى عن مولًى شيئاً ولا هم يُنْصَرُونَ** ﴾ [الدخان : ٤١] وقال تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ المرءُ من أخيهِ ، وأُمِّهِ وأَبِيهِ ، وصَاحِبَتِهِ وبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** ﴾ [عبس : ٣٤-٣٧] .

وقال - ﷺ - : « **يا صَفِيّةُ عَمَةَ رسُولِ الله اعْملى فَإنى لا أُغنّي عنكِ مِنَ الله شيئا ويا فاطمةُ بنتَ محمدٍ ، أعْمَلِى فَإنّى لا أُغْنِى عنكِ من الله شيئا ..** » وأضيف إلى الآياتِ ﴿ **يوم لا تملكُ نفسٌ لنفسٍ شيئا** ﴾ [الأنفطار : ١٩] .

فَهَأَنْتَ ذَا ترى النصوص السابقة تفيد بظاهرها أن عبادة أحدٍ لا تنفع أحدًا غيرَهُ وأَنَّ معصية أحدٍ لا تضرُّ أحدًا غيرَهُ .

والذين درسوا علومَ اللغة العربية ، ودرسوا أن النكرة فى سياق النفى تَعُمُّ ثم وجدوا فى الآية الأولى أن لفظ (نفس) نكرة وهو فى سياق النفى (لا تَجْزِى) فيعطيه ذلك بحسب الظاهر أن أحداً لن ينفع أحداً ، والذين درسوا أن كلًّا من أُنَّما [وتقديم ما يستحق الأخير يفيد الحصر] ثم وجدوا (إنما) فى قوله تعالى : فإنما يهتدى لنفسه ، وفى قوله : فإنما يضل عليها ، ووجدوا تقديم (لها) و (عليها) فى قوله تعالى : ﴿ **لها ما كسبَتْ وعليها ما اكْتَسَبَتْ فيعطى ذلك أن اهتداءك إلى الصراط المستقيم خاص بك بنفعك وحدك ، وأن معصيتك تضرك وحدك ، وأمثال التشبث بهذه النصوص والاقتصار عليها جعل بعض الفرق الإسلامي تنكر الشفاعة .**

وقد يحتاج القارىء إلى تفسير بعض هذه العبارات فأقول : لها ما كَسَبَتْ (من الحسنات) وعليها مَا اكْتَسَبَتْ (من السيئات) لا تَزِرُ : لا تَحمِلُ . وازرة : نفسٌ ، وِزْرَ : ذَنْبَ ، أى لا تحمل نفسٌ ذنب نفسٍ أخرى . يوم لا يُغْنِى مولًى : المولى هنا هو الصديق . صاحبته : زوجتِه .

الطائفة الثانية من النصوص وأرمز لها بالحرف (ب) .

قال تعالى : ﴿ ولْيَخْشَ الذين لَوْ تَرَكُوا منْ خَلْفِهِمْ ذُرِيَّةً ضعافاً خَافُوا علَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا الله وَلْيَقُولُوا قولًا سَديداً ﴾ [النساء : ٩] وقال تعالى : ﴿ وأمَّا الجِدَارُ فكانَ لغلامَيْن يتيمَيْنِ فى المدينة وكان تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وكان أبوهُما صَالحاً فَأرادَ ربُّك أنْ يَبْلغَا أشُدَّهُما ويسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رحمةً مِنْ ربِّكَ .. ﴾ [الكهف : ٨٢] وقال تعالى : ﴿ لِيَحْمِلُوا أوْزَارَهُمْ كامِلةً يومَ القيامةِ وَمِنْ أوْزَارِ الَّذِينَ يُضلُّونَهُمْ بغَير عِلْمٍ ألَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل : ٢٥] . وقال تعالى : ﴿ ولَيَحْمِلُنَّ أثقَالَهُمْ وأثْقَالًا مع أثقالهمْ ولَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ القيامةِ عَمَّا كانوا يَفْتَرُونَ ﴾ [العنكبوت ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ والذين آمَنُوا واتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بإيمانٍ ألْحَقْنَا بهم ذُريتَهُمْ ، وما ألَتْنَاهُمْ منْ عَمَلِهِمُ منْ شيءٍ ... ﴾ [الطور : ٢١] .

وقال ﷺ ، ما معناه ما من نفسٍ تُقْتَلَ ظلماً إلَّا كان على ابنِ أدم الأول كفلٌ منها من أجل أنَّهُ سن القتل(١) .

وقال – ﷺ – من دَعَا إلى هُدَى فله أجرُه وأجرُ مَنْ عَمِل له إلى يومِ القيامة وقد جاءت أحاديث تفيد أن الأبناء يشفعون لآبائهم ، وقال – ﷺ – إذا مات ابن أدم انقطع عملُه إلا من ثلاث ، صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له .

وقال – ﷺ – أفضلُ الدعاء دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب ، وأن الملكَ يقول للداعى ولك بمثلٍ ثم إن صلاةَ الجنازةِ دليل على أن الأحياءَ ينفعون الميتين .

فها أنت ذا تجد الطائفة الثانية من النصوص تفيد أن الابن قد تكون درجته فى الجنة أقلَّ من درجة الأب فَرَبُّنا – عز وجل – يتفضل بأن يرفع درجات الابن حتى يكون فى منزلة الأب . ليأتنس كل من الأب والولد بالآخر فى الجنة فصلاح الأب نَفع الإبن ، وتفيد أن تقوى الأكابر نفعت الأصاغَر فإذا كنت تخشى على أولادك من يَعْدِكَ فاتق الله ، وتقوى الله يكافئك الله بها بأن يحمَى أولادك مما تخشاه عليهم ، بل تفيد أن انتفاع الأولاد بصلاح آبائهم لا يقتصر على الانتفاع الأخروى . بل يتعداه إلى الانتفاع فى الدنيا ، فالرجل استخلف الله – عز وجل – على أولاده ووضع أموالهم تحت جدار ، ويكاد الجدار ينهار ، فَيُقَيِّض الله لهم الخضر عليه السلام يهدم الجدار ويعيد بناءه صيانة لأموال هذين اليتيمين : وكان أبوهما صالحا : فأنظر كيف انتفع الأولاد بصلاح الأب انتفاعا دنيويا ، بل تفيد النصوص أنَّ المعصية تضر صاحبها وغير صاحبها ، وأن المرء قد يحمل ذَنْبَ غيره . وتفيذ انتفاع الأب بدعاء ولده ، وانتفاع الصالح بدعاء أخيه فى الله وما صلاةُ الجنازة إلا دعاء ينفع به الحيُّ أخاه الميتَ .

التوفيــق :

ولا تناقض ولا تعارض – إنْ شاء الله – وإنما هو التوفيق والجمع بين النصوص التى بها يظهر أن الطائفتين من النصوص كأنهما نص واحد .

ويمكن التوفيق – إن شاء الله – بما يأتى :

١ – أما النصوص التى تفيد أنه لا ينفع أحدٌ أحداً ولا يستفيد يومَ القيمة أحدٌ بعبادة أحد – فإنها تتحدث عن الكافر ، فإنه لا ينتفع بعبادة أحد مهما كان . فامرأة نوح لم تنتفع بصلاح نوح – عليه السلام – وامرأة لوط لَنْ يشفع لها أنها امرأة نبى ، وأما أبو طالب فإنه مات كافرا وأَبى أَنْ يقول : لا إله إلا الله ، ومع هذا فإن العباسَ بن عبد المطلب – رضى الله عنه – قال للنبى – ﷺ –: **« فهل نفعْتَ عمك أبا طالب بشىء ؟ قال : نعم ، إنه يكون فى ضَحْضاحٍ من النار تغلى منها دماغه وهو أخف عذاب النار »** .

أقول : أما أبو طالب فإنه يخلَّد فى النار بمقتضى موته على الكفر ، وأما التخفيف عنه فلأنه تحمَّل مع النبى - ﷺ - بعض عناء الدعوة ، وعدلُ الله - عز وجل - مطلقٌ كاملٌ فهو - عز وجل - لن يعاقبَ الكافرين عقوبةً واحدةً ، وبمستوى واحد ، وبدرجة واحدة وإنما عقابُ بعضهم سوف يكون أشدَّ من عقاب بعض ، فهناك فَرْق بين الكافر الذى يعاون المسلمين ويسالمهم، ولا يدبر المكائد لهم ، وبين الكافر العاتى الذى يبذل أقصى جهده فى الإضرار بالمسلمين ، فعقوبة الأول أخف بمقتضى عدالة الله - عز وجل - ومقتضى عدالة الله التى يستفيد منها الكافر أنه لو كان مظلوما ودعا الله - عز وجل - فإن الله ينصفُه من الظالم الموحّد ، ومنه حديث : « **واتقوا دعوةَ المظلوم ، فإنى لا أردها وإن كانت من كافر** »(١) ، فالله لن يخفف العذاب عن أبى طالب ، لكونه عمَّ رسول الله - ﷺ - ، بل ، لأنه صدَّ عن النبى - ﷺ - وتحمَّل معه شيئا من عبء الدعوة . وأبو إبراهيم الخليل لن ينتفع بصلاح ابنه إبراهيم - عليه السلام - فإنه يطلب من ابنه إبراهيم يوم القيامة أن يشفع له عند الله فلا يُشفَعه الله فى أبيه ، ولذلك ذكر الله أن إبراهيم لم يستغفر لأبيه إلَّا عن موعدةٍ وَعَدهَا إياه ، ولذلك نهينا أن نستغفر للمشركين ، لأنه لا ينفعهم الاستغفار .

ثم إن النصوص التى تفيد أن بعضَ الناس ينتفع بعبادة بعضٍ فذلك بين المؤمنين بشروط سوف أوضحها - إن شاء الله فلا تناقض .

٢ - النصوص التى تفيد أن الداعى إلى الله يستفيد بتنفيذ الناس لما يدعوهم إليه وله أجر هذا العمل وأجر من عمل به إلى يوم القيامة - يجب أن نفهم أنه لم ينتفع بعبادتهم إلَّا بعد أنْ دعاهم هو إليها ، وقاموا هم بها ، فالأب ينتفع بعمل أولاده من بعده إذا كان هو صالحا ودعاهم وربَّاهم على الدين ، أو علم الله عنه أنه يتمنى ذلك لأولاده الصغار الذين تركهم صغاراً ، وذلك إذا كان الأب والابن صالحَيْن . والنصوص التى تفيد أن الأب لا ينتفع بصلاح ولده ، فذلك ناشىء من أن الأب كان شريراً عاصيا راعيةَ سوء ، ولم يَدْعهُمْ ولم يرشدهم ، ولم يتمنّ لهم الاستقامة ، بل ربما دعاهم إلى الشر .

ولهذا فإن نبيَّنا محمداً - ﷺ - سيعطيه الله - عز وجل - أجراً على إيمان كلِّ واحدٍ منّا من حيث إنّه كان السبب فى هدايتنا ، ودعوتُه وصلَتْ إلينا .

وهكذا كل من دعا إلى هدى فله أجره وأجر من عَمِل به إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شىء .

٣ - أن النصوص التى تفيد أن عبادتك لله لا ينتفع بها غيرك - فذلك بمقتضى العدل وأن النصوص التى تفيد أن عبادتك لله تنفع غيرك - فذلك بمقتضى الفضل ولا تنافى بينهما .

توضيح ذلك : أنَّ الرسولَ - ﷺ - أخبر أنه لن يدخل أحدٌ الجنَة بعمله ، ثم قالوا لرسول الله - ﷺ - حتى أنت يا رسول الله ؟ فقال هم رسولُ الله - ﷺ - ولا أَنَا إلَّا أَنْ يتغمدنى الله بفضلٍ ورحمةٍ ، مع هذا نجد نصوصا تفيد أن دخول الجنة يكون بالعمل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ .

ولا تناقض بينهما ، ذلك أَنَّ عدم دخول الجنة بالعمل بمقتضى العدل ، ودخولها بالعمل بمقتضى الفضل .

وأزيدُ الأمرِ وضوحا فأقول : حين يحاسبُك الله على عملك الصالح يُذكِّرك بنعمه عليك ، وأَنَّ كل نعمة تستوجب الشكر عليها ، والعمل الصالح هو شكر على تلك النعمة وجعل هذه الأعمال الصالحة فى مقابل نِعَمٍ تفضلَ الله - عز وجل بها - عليك - لوجدت نفسك بمقتضى (العدل) لا تستحق جزاءً ، بل تجدُ نفسك مَدِينا لله - عز وجل - وأن عبادتك مهما عَظُمَتْ ، ليسَتْ شيئا بجوار ما أسبغ الله عليك من النعم ، وإذَنْ فأنت بهذا - لا تستحق دخول الجنة لأن العدالة تقتضى ذلك ؟

فهل الله عز وجل يكون ظالماً لك إن لم يدخْلك الجنة ؟ لا ؛ فإن الله - عز وجل - يقول لك عن الموازنة بين عملك الذى هو شكر لله على النعيم وبين النعيم تجدُك لا تستحق الجنة بل أنتَ مدِين .

لكنْ هل يعاملُك الله بمقتضى هذا المنطق؟ لا بل أنه يتفضل عليك فَيَعُدُّ هو– عز وجل -- تفضلا منه واحسانا (يعُدّ عملَكَ سببا فى دخولك الجنة ثم يضاعف لك هذا الجزاء الحسن .

ولعلك بهذا تفهم الفرق بين العدل والفضل .

ويزداد هذا المعنى وضوحا حين تعلم أن الله – عز وجل – يعامل الصالحين بمقتضى الفضل ويعامل العصاة والكافرين بمقتضى العدل وهذا – إن شاء الله – يجعلك تفهم طريقة أئمة أفاضل مثل ابن تيمية فى التوفيق بين كون الله – عز وجل – لا يُدْخِلُك الجنةَ بعملك وبين كونه يُدْخِلُك الجنة بعملك تفضلا منه وإحسانا ، فيقول هذا الإمام :

الباء فى قوله – ﷺ –: « **لن يَدْخُلَ أحدُكُم الجنةَ بعمله** » هى باء المعاوضة . والباء فى قوله تعالى : ﴿ **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ للسببية أى لَنْ تدخلوا الجنة فى مقابل العمل ، بل بسبب العمل ، فالمعاوضة هى العدل والسببية هى الفضل .

وبهذا نستطيع أن نوفق بين نصوص تفيد أن عبادتك لن تفيد غيرك وبين نصوص تفيد العكس .

٤ – ثم إنك قد تجد نصوصا تفيد أن المعصية قد تضر الذين لم يقترفوها ، ثم تتساءل وتقول : كيف هذا ، إنَّ الله قال : ﴿ **ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى** ؟ ﴾ وأقول لك : لَنْ يكون هنا تناقض وتعارضٌ إلَّا فى ذهن الذين لم يعرفوا النصوص الشرعية فى هذا المعنى .

وسأحاول إقناعك بأنه لا تناقض ولا تعارض : فإنَّ المعصية إذا خفَيتْ لم تضرَّ إلَّا صاحبَهَا ، وهذا لا يعنينا هنا ، لأننا بصدد المعاصى التى تضر غيرَ فاعِلها .

وإذا أعلنت المعصية فرآها الناس فاستعذبوها وأحبوها وروَّجوا لها ولم ينكروها وهم قادرون على إنكارها فمن العدل أن يستحقوا أن يعمهم العذاب ، لأنهم لم يغضبوا لله – عز وجل – ولم ينكروا المنكر مع قدرتهم عليه فإذا أنكروها

بأيديهم ، أو بألسنتهم إن عجزوا عن إنكار المنكرات باليد أو بقلوبهم إن عجزوا عن إنكارهم المنكر باللسان - أقول : إن أنكروها كذلك فإنَّ الله - عز وجل - يُهلك الذين اقترفوها والذين لم ينكروها مع قدرتهم على الإنكار أما الذين أنكروها فإن الله ينجيهم .

يذكَر بذلك قولُ الحق - تبارك وتعالى -: ﴿ **فلما نسُوا ما ذُكّروا به أنْجينا الذين ينهَوْن عن السُّوءِ وأخذْنا الذين ظَلَمُوا بعذابٍ بئيسٍ بما كانوا يَفسُقُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٦٥] .

(يذكِّرنا بذلك أيضا قولُ الحق - تبارك وتعالى -: ﴿ **فأخرجْنا من كان فيها من المؤمنين، فما وجَدْنا فيها غيرَ بيتٍ من المسلمين** ﴾ [الذاريات : ٣٥-٣٦]

وأنا مع هذا أتوقع أن يسألنى سائل فيقولُ : لقد جاءت أحاديث تفيد أن الله قد يهلك الصالحين : يذكّرنا بذلك قول إحدى إمهات المؤمنين : يا رسول الله أَنَهْلِكُ وفينا الصالحون ؟ .. فقال - ﷺ - ما معناه : **يُهلِكُ** الله الجميعَ ثم يُبعثون على نياتهم ، ومعنى هذا أن الله قد يهلك الجميع حتى الذين تبرَّءُوا من المعصية وأنكروها بالطريقة الشرعية .

ثم يكون الإهلاك لأعداء الله عقابا وانتقاما ، ويكون الإهلاك للصالحين تمحيصا وابتلاء واختباراً ، وتكون النجاةُ التى وعد الله بها الذين ينهَوْن عن السوء هى النجاة من عذاب جهنم ، وتلك هى النجاة الحقيقية ، والذين يعرفون قيمة الجنة لا يبالون أن يدفعوا ثمنها فى الدنيا امتحانات وابتلاءات ومكاره .

وإذن فمعنى : فلما نسُوا ماذُكّروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء أنجينا أحباءنا من عذاب جهنم ، ويكون شمولُ العذاب الدنيوى الشامل لهم ابتلاءً واختباراً وتمحيصاً وتطهيراً ورفعا لدرجاتهم ، كالمحن التى تصيب أحباء الله - عز وجل لتكفير سيئاتهم ولرفع درجاتهم .

ولهذا تدرك أنه لا تناقض بين أن يهلك الله الصالحين وبين قوله تعالى : ﴿ **ولا تَزِرُ وازرةٌ وِزر أُخرَى** ﴾ .

ولعلك بهذا تدرك قولَ الحق – تبارك وتعالى –: ﴿ **واتَّقُوا فتنةً لا تُصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصةً** ﴾ [الأنفال : ٢٥] .

فإذا كان المقصود بالفتنة فى هذه الآية هى العذاب الدنيوى الشامل الذى حدثتك عنه الآن فإنه يشمل حتى الصالحين المنكرين للمنكر ، ثم يكون شمول هذا العذاب لهم كما قلت لك : تكفيراً لسيئاتهم ورفعا لدرجاتهم .. وإننى لأعجب للذين يقولون : إن أحداً لن يضارَّ بمعصية غيره مستندين إلى قول الحق – تبارك وتعالى – عن دعاة السوء : وما هم بحامِلِينَ من خطاياهم من شىء ، ولو أنهم أكملوا قراءة الآية : ﴿ **وليحملُنَّ أثقَالهم وأثقالا مع أثقالهم** ﴾ [العنكبوت:١٣] لعرفوا أن معاصيَهم قد ضرَّتْ غيرَهُم ثم إننى أتوقع أن يسأل أحد الإخوة هذا السؤال فيقول لى : كيف توفق بين قوله : ﴿ **وما هم بحامِلِينَ من خطاياهم من شىء** ﴾ وبين : ﴿ **ولَيَحمِلُنَّ أثقالهم وأثقالًا مع أثقالهم ؟** ﴾ إن العبارة الأولى تفيد أن معصية العاصيى لا تضرُّ غيره ، والعبارة الثانية تفيد أن معصية العاصى قد تضر غيره وأقول لك :

إن الذنوب التى اقترفها هؤلاء الكافرون نوعان :

النوع الأول : ذنوب أَخفوها ولا يعلمُ بها أحد ، ولم يزيّنوها للناس ولم يدعُوا الناس إلى اقترافها ، فهذه الذنوب تضرهم وحدهم ولا تضر غيرهم وهذا هو المقصود بقوله تعالى : ﴿ **وما هم بحاملين من خطاياهم من شىءٍ** ﴾ .

النوع الثانى : ذنوب دَعوْا إليها وزينوها للأتباع المقلدين ، فقلدوهم فيها وأطاعوهم ، فهذه الذنوب يحملونها ، فهم يحملون ذنوبهم ويحملون ذنوب الذين اتبعوهم ، ويوضح ذلك قول رسول الله – ﷺ – من دعا إلى ضلالة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ... ويزيد هذا المعنى تأكيداً قول الحق – تبارك وتعالى –: ﴿ **ليحملوا أوزْارهم كاملةً يوم القيامة ومنْ أوزار الذين يُضلُّونَهُمْ بغير علم ، ألا ساءَ ما يَزِرونُ** ﴾ [االنحل : ٢٥] وعلى هذا فلا تناقض إن شاء الله ...

وإذَن فعندما يريد الله أن يعم الناس بعذاب دنيوى شامل ، قد ينجى المنكرين للمنكر فى الدنيا كما وقع لقوم نوح فإن الله نجَّى الصالحين منهم من

الإغراق ، وكما نجّى الله أصحاب موسى بأن جعل فى البحرَ طريقا يَبسا ، فقال عن أتباع نوح : فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل : الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين قال عن أصحاب موسى : لا تخافُ دَرَكاً ولا تخشى ، وقال عن قوم لوط : ﴿ **فأخرجْنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين** ﴾ [الذاريات : ٣٥-٣٦] وقال ربنا - عز وجل -: ﴿ **إنا منجوك وأهلَك ألا أمرأتك كانتْ من الغابرين** ﴾ [العنكبوت : ٣٣] .

وقد يَهْلِكُ - كما قلت - حتى الذين ينهَونَ عن السوء كما دلَّتْ على ذلك الأحاديث ... .

وإذا كان دعاء النبى - ﷺ - لأبى طالب نفع أبا طالبٍ ، فكان أهون الناس عذابا أفتستبعد أن ينفع الموحدين ؟ وقد عرفْتَ أنْ شأن الله مع أبى طالب يقنعنا بكمال عدل الله عز وجل ، فهو - عز وجل - لم يعذبه كعذاب فرعون وأبى جهل ، من أجل حمايته لرسول الله - ﷺ - وفى الوقت نفسه لم يُدخله الجنة ، لكونه مات على الكفر .

وقد سبق أن قلت لك : الله - عز وجل - يعاملُ الكفار بمقتضى العدل ، ويعامل أحباءه بمقتضى العدل والفضل ، ولذلك لا يزيد الله فى عقابهم عما يستحقون : ﴿ **يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم ، إنما تُجزَوْن ما كنتم تعلمون** ﴾ [التحريم : ٧] . والسيئة يعاقب عليها بمثلها . أما أحباؤه - عز وجل - فإنه قال عنهم : ﴿ **وما آتيتم من زكاةٍ تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون** ﴾ [الروم : ٣٩] ولا تقل لى : إن الله عز وجل قال عن أعدائه : ﴿ **يضاعَفْ له العذابُ يوم القيامة ويخلدْ فيه مهانا** ﴾ [الفرقان : ٦٩] . لا تقل لى ذلك . لأننى سبق أن قلت لك : إن[أ] مضاعفة العذاب فى مقابل أنهم لم يكتفوا بارتكاب المعصية فى أنفسهم ، بل إنهم قد دَعَوْا إليها وزيَّنوها للناس ، فحملوا أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم[ب] على أن اسم الإشارة فى قوله : ﴿ **ومن يفعل ذلك يلق أثاما** ﴾ يضاعف له العذاب الآية - يعود على ما تقدم ولا شك أنَّ مَنْ يجمع بين هذا كله جدير أن يكون العذاب له مضاعفا ، فإنه جمع إلى الشرك كبرياتِ الذنوب ، إنّ زيادة المعاصى يناسبها زيادة العذاب والتعبير بقوله :

يضاعفْ لا يعنى أنه يعاقِبُ عقابا زائدا عما يستحق وليس فى اللغة ما يدل على هذا ، ولا يتنافى هذا إطلاقا مع قوله تعالى : ﴿ **ومن جاء بالسيئة فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ..** ﴾ [الأنعام : ١٦٠] .

وإذَنْ فانتفاعُكَ بعبادة غيرك لله - عز وجل - مشروطة بشروط ، تستفيدها مما تقدم ومع هذا فأننى ألخصها فى هذا الفصل .

شروط انتفاع المسلم بعبادة غيره .

١ - أن يكون المنتفع بعبادة غيره لله أهلًا لذلك بأن يكون صالحاً ، ولذلك لم ينتفع ابن نوح بنبوة أبيه ، فإذا دعوْت - على سبيل المثال - لأخ لك ، فلن يستجيَب الله دعاءك فيه إلّا إذا كان هو أهلًا لقبول هذا الدعاء وهذا الذى يسميه العلماء (قابليةَ المحل) .

٢ - أن يكون الذى عمل هذه الأعمال الصالحة قد دعا إليها بقوله وعمله .

الحالات التى لا ينتفع الإنسان فيها بعبادة غيره .

١ - إن تكون تلك العبادة غير مشروعة وغير مقبولة ، لكونها بِدَعا أو مخالفة للشرع فهى لا تنفع العابد ولا غيره .

٢ - أن تظن أن أعمالَ الحسين - ﷺ - تنفعُك من أجل أن بينك وبينه نسبا .

٣ - أن يكون الذى تريد نفعه بعملك كافراً .

ولَمَ نستبعد أن تكون المعصية ضارةً لغير العاصى مع أن النبى - ﷺ - ذكر الجليس السوءَ وذكر أن ضررَهُ على جليسه كتضرر الجليس بنافخ الكير إنْ شاركته أحرق ثيابك ، وإن اكتفيتَ بمجالسته شممت رائحة خبيثة ؟ كما أن النبى أراد أن يبين لنا أن العمل الصالح قد يفيد غير العامل به فشبه الجليس الصالح بحامل المسك .

فإما أن تتبادَل معه النصائح فمَثَلُكَ كمثلِ الذى تشترِى منه المسك ، وإمَّا أن تستفيد منه علماً نافعاً دون أن يستفيد مثله منك فمثلك كمثل من يمنحه بائع

المسك مسكاً بدون مقابل ، وإما أن تكتفى بالنظر إليه والقرب منه فتشمّ الرائحة الطيبة ..؟ .

إقناع مدعى التعارض .

وقد وعدتك أن أذكر لك الحكمة فى أن النصوص قد تبدو متعارضة وكان من الممكن ألّا يكون بينها هذا التعارض ، وقد يظهر هذا الاعتراض على لسان بعض الناس بعد أن يقوم العلماء بالتوفيق بينها بحيث يظهرون لك أنها نص واحد وأنه لا تناقض وبعد أن يعلم أن القرآن حق حين نقرأ منه : ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، إنها شبهة كشبهة الذى يقول : كيفَ نوفق بين نصوص تفيد أن احدًا لا ينتفع بعبادة أحد ، وبين نصوص تفيد عكس ذلك وقد يكون الذى يُلْقِى إلينا هذا الاعتراضِ مؤمنا مسلما ولا نزكى على الله أحداً غير أنه يريد أن يزول أثر هذه الشبهة منه . ومن بين ما تقدم إلىَّ من هذه الاعتراضات : كيف نوفق بين قوله تعالى : ﴿ **وإنْ منكم إلا وارِدها** ﴾ وبين قوله : ﴿ **فمنهم شقى وسعيد** ﴾ وكذا الآيات التى تفيد أن للجنة أهلَها ؟

وقد أُجبت بما قاله علماؤنا وهو أن المقصود بالورود ليس هو العذاب ، بل إن الجميع يَرَوْن النار ، فأما الصالح فيزداد سرورا بأنه نجا ، وأما العاصى فيزداد ندماً ، حيث لا ينفع الندم . ثم إن الذى يوجه هذا الاعتراضِ لو واصل القراءة لوجد قوله تعالى : ثم ننجى الذين اتّقَوْا ونَذَرُ الظالمين فيها جِثُياً ، وأعود فأكرر أن القرآن تكفل برد كل شبهة حتى يكون هذا إفحَامًا للمبطلين ، وثلجا لصدور المخلصين .

وأعود إلى ما وعدت به فأقول :

حكمة التعارض .

الحكمة فى أن النصوص كانت كذلك لما يأتى :

١ – أَنها امتحان إلهى يظهر به أحباءُ الله وأعداؤه ، فأما أحباءُ الله فإنهم يقولونآمنا به ، كلٌّ من عند ربنا ، وكل ما جاء عن الله وعن رسول فهو حق ،

فإذا بدَا ما يسمى تعارضا ، فليس هو تعارضًا فى الحقيقة ، وإنما لقصور فى فهمنا عن التوفيق بين هذه النصوص ، ثم إننا نسأل أهلِ العْلم ، فإذا لم نجد الإجابة سلَّمْنا ورضينا ، وانتظرنا لعل هذه الشبهة تزول غداً ، وحسبُنا كما قلت إيمانُنا بأن كل ما جاء عن الله وعن رسوله حق ، وليس فى النصوص تناقض وأما أعداء الله فإنهم يثيرون هذه الشبهات فى نفوس ضعاف الإيمان قليلى العلم ، لعلهم يُضِلُّونهم : ﴿ يُوحِي بعضُهم إلى بعضٍ زُخْرُفَ القولِ غُرُورًا ﴾
[الأنعـام : ١١٢] .

٢ – أن من بركات هذه الحنيفة السمحة أنها تربِّى عقولًا ناضجة راقية ، عجيبةً خارقة والفضل – بعد الله – لكتابه وسنة رسوله – ﷺ – وإذا وازنت بين العلماء الذين تربَّوْا على مائدة النبوة وبين الفلاسفة والمفكرين – وجدت الفرق بينهما كالفرق بين الدُّر والبعر ، أين أفكار فلاسفة اليونان الناسئة عن الأساطير والخرافات من مثل عقل ابن تيمية وابن القيم ومن مثل مالك وأبى حنيفة ... والشوكانى والصنعانى ... هؤلاء ذَوُو العقول الراقية الفذة هم الذين جنّدهم الله كى يُوفِّقوا بين النصوص التى يبدو أنها متعارضة ، وإذَنْ فلعلَّ الله – عز وجل – أراد أن يُظهر فضلَه على هؤلاء العلماء .

وإذا وجدت العلماء يقولون : بين الحديثين تعارض ، فلا يدل هذا على أنهم يعتقدون أنها متناقضة ، وإنما يصفونها بالتعارض فى نظر الذين لم يألفوا الفقه الإسلامى ولم يمارسوا جهود العلماء فى الاستنباطات الراقية من الكتاب والسنة .

ولقد درست الفلسفة فى كلية أصول الدين على أيدى الدكتور محمد البهى والدكتور غلَّاب والدكتور سليمان دنيا – رحمهم الله – ثم درسْتُ شيئا من الفقه المقارن مهتديا بالكتاب والسنة وبمجهود أمثال الشوكانى وابن تيمية والصنعانى والنووى وغيرهم ، فوجدت الفرق بين الاتجاهين أبعد مما بين السمـاء والأرض ثم وجْدتُ الذين درسْتُ عليهم الفلسفة قد اتجهوا إلى الاستقاء من الكتاب والسنة ووجدنا لهم مؤلفاتٍ نافعةً فى ذلك .

أنواع هذا الانتفاع .

قد عرفت مما سبق أن الحيّ بعمله الصالح ينفع الحيَّ ، فإذا دعوت أخاك إلى العمل الصالح فأطاع ، فهو قد انتفع من دعوتك له ، وإذا دعوت الله لأخيك المسلم أنْ يشفيَهُ فشفاه فقد انتفع من دعائك الله له وإذا استقمت على أوامر الله ظهر أثر ذلك على أولادك ... وكان أبوهما صالحا .. وإذا جالسْتَ الرجل الصالح فأثر فى سلوكك فقد انتفعت به .

وهذا النفع قد يكون دينيا كأن تنتفع بالموعظة فتصلى وتصوم ، وقد يكون دنيويا كقصة بناء الخضر للجدار وأما الجدار فكان لغلامْين يتيمين الآية .. .

وقد عرْفَت أن الحيَّ بنفع الميتَ نفعاً دِيَنياً كصلاة الجنازة والتصدق وكالصيام ، وقد يكون نفعا دنيويا كأن ترعى أولاده من بعده . ويجب أن تعلم أن ذلك كلَّه لابد أن يكون فى صورة مشروعة سليمة بأدلة صالحة للاحتجاج بها مبينة بالتفصيل فى الكتب الخاصة بذلك ، لأن بعض الأحياء يقوم بأعمال يظنها عبادات ويظن أنه بها نفع الميت وهى طرق مبتدعة غير مشروعة فأرجو أن يعينني الله على بيانها إنّ شاء الله ، فكما بينَّا أن العبادات ينفع بها العبدُ غيره ، يجب أن نبين أن بعض هذه العبادات لا تنفع وسبب ذلك .

فهذه أنواع أربعة :

١ - نفع الحى للحى دينياً و٢ - دنيويا ، ونفع الحى للميت ٣ - دينيا ٤ - ودنيويًّا ، لكن هل للميت عباداتٌ ينتفع بها الحى ؟ ذلك هو الذى أوضحه الآن :

هل للميت عبادات ينتفح بها الحيّ ؟

أقول : إذا كان قبل أن يموت قام بأعمال خدمةً للإسلام وكان لهذه الأعمال أثرها الطيب بعد موته ، فهذا هى الصدقة الجارية ، ينتفع فيها الحى بعبادة

الميت لكن بهذه الصورة ، مثال ذلك أن النبى – ﷺ – ترك لنا هذا العلم النبوى النافع نستفيد منه بعد موته ويؤجر هو – ﷺ – عليه ، ومن أمثلة ذلك أنّ الإمام البخارى – رضى الله عنه – ترك لنا كتابه الجامع الصحيح ، وما زلنا ننتفع به ويؤجر هو إن شاء الله ، وهوأ حد الأمور الثلاثة المذكورة فى قوله – ﷺ –: « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : فذكر النبى – ﷺ – منها الصدقة الجارية** » وهذا من فضل الله – عز وجل – على هذه الأمة ، لكن هل للميت وهو فى قبره عبادات ينتفع بها الحى ؟

عرض الأعمال على النبى ﷺ .

ذلك هو الذى أختلف فيه مع ناس قالوا ذلك ، واستدلوا على ذلك بحديث رواه أبو بكر المازنى التابعى قال : قال رسول الله – ﷺ – تُحدثون ويحَدَثُ لكم ، تُعرضُ علىّ أعمالُكم فإن وجدت خيراً حمدت الله ، وإنْ وجدت غير ذلك استغفرت لكم .. فدل هذا الحدث بظاهره على أن النبى – ﷺ – وهو فى قبره الشريف تقع منه عبادات ننتفع نحن بها ، إذ يستغفر للمذنب منا ويقع منه حمد لله – عز وجل ، وسوف أقيم الدليل على أن الميت وهو فى قبره لا تقع منه عبادات كما تقع منه وهو حى ، وأنه ينفع بها غيره ، فأقول : وبالله التوفيق .

١ – أمثال هذه الأمور لابد أن نستند فيها إلى دليل صالح للاحتجاج به وهذا الحديث لا يصلح للاحتجاج به ، لأنه مرسل والمرسل لا يكون حجة فى هذه الأمور الاعتقادية ، وعلى كل حال سأترك مناقشة السند إلى فصل خاص به إن شاء الله ، وسوف أناقش المتن بما أعتقد وبما وصل إليه علمى فأقول .

٢ – فى هذا الحديث زيادة فى بعض طرقه وهى قوله – ﷺ – حياتى خير لكم ، ومماتى خير لكم .

٣ – قوله ﴿ **تعرَضُ علىَّ أعمالُكم** ﴾: – عرض الأعمال على رسول الله – ﷺ بعد موته يقتضى أنه يعلم بأعمالنا بعد موته ، ويمكن أن يرد على هذه العقيدة بما يأتى .

أ - حديث الحوض ، وخلاصته أنَّ النبى - ﷺ - سوف يجلس عند الحوض ، ويأتى المنتسبون إلى هذا الحوض ، ليشربوا منه ، فيرى النبىُّ الملائكة يصدُّون ناسا عن الحوض فيقول النبى - ﷺ - كيف تمنعونه من شرب الحوض وهو من أمتى ؟ فتقول الملائكة : إنك - يا محمد - لا تدرى ماذا أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقا لمن بدَّل بعدى : وأقول : كما قال العبد الصالح (عيسى) وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد .

والذى يعنينا من الحديث الآن أنه يفيد أنَّ رسول الله - ﷺ - لا يعلم بتفاصيل أعمال أمته من بعده ، وموضع الدليل : قول الملائكة : يا محمد - لا تدرى ماذا أحدثوا بعدك ، وقول النبى : أقول كما قال العبد الصالح : وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنا هنا . لمْ أذكرَ الحديث باللفظ التى فى الكتب بل ذكرت معناه ، وسوف أذكره بألفاظ الكتب بعْدُ إن شاء الله مع تخريجه .

والمخالف لى : سوف يَجْنَحُ إلى التوفيق بين الحديث الذى رواه أبو بكر المازنى التابعى وحديث الحوض وأقول له : إن علماء السنة قالوا : لا نوفق بين الحديثين إذا اختلفت درجاتهما ، فحديث الحوض الذى استندت إليه رواه البخارى وحديث أبى بكر المازنى التابعى مرسل وهو من أقسام الضعيف ... إنك إذا قلت : الحديث الذى رواه أبو بكر المازنى التابعى يدل على أن أعمال العباد تُعْرَضُ على النبى عرضا إجماليا ، وحديث الحوض ينفى العرض التفصيلى أقول لك : اختلاف درجة الحديثين يمنع من هذا التوفيق ، على أن دعْوى أن أعمالنا تعرض على النبى - ﷺ - عرضاً إجماليا يحتاج إلى دليل من حديث صحيح ، لأنها عقائد لا ينفرد بالاستدلال عليها حديث ضعيف ثم إن عالَم القبر من عالم الغيب ، فلا تؤمن بأى شىء قيل عن عالم البرزخ إلَّا إذا دل عليه حديث صحيح ، ونبينا - ﷺ - لا يعلم بشىء من الغيب إلَّا إذا أعلمه الله إياه وبلغَنَا ذلك بدليل صالح للاحتجاج ، فكل ما أُخْبَرَنا به النبى (ﷺ) مما هو غيْب فهو بإعلام الله إياه . وأقصد بالحديث الصحيح الصالح للاحتجاج به على العقائد .

إن النبى – ﷺ – أكل من الشاة المسمومة ولم يكن يعلم أنها مسمومة حتى أخبره الذراع أنه مسموم أى أن الله أعلمه . ثم أنه – ﷺ – صلى بالنعّل وهو لا يعلم أن به خبثا حتى أعلمه جبريل . ثم إنه سقط فى غزوة أحد فى الحفرة التى حفرها له المشركون ، لأنه لم يكن يعلم بها ... وهكذا ...

وحين أمر الله النبىَّ – ﷺ – أن يقول : وما أدرى ما يُفْعَلُ بى ولا بكم ، وحين قال لزوج عثمان بن مظعون . وما يدريك أن الله أكرمه ، والله ما أدرى وأنا رسولُ الله ما يُفعل بى – حين كان ذلك – لم يكن النى يعلم ، ثم أعلمه الله عز وجل .

ب – قوله : فإن وجدْتُ خيراً حمدت الله ، وإن وجدْتُ غير ذلك استغفرت لكم يدل على أنه يقع من النبى – ﷺ – بعد موته حمد واستغفار والحمد والاستغفار عبادة والنبى – ﷺ – لا تقع منه عبادة بعد موته يترتب عليها ثواب جديد عليها ويترتب عليها انتفاعُنا بها ، ودليلى على ذلك : قول الله – عز وجل –: ﴿ **واعبد ربَّكَ حتى يأتيك اليقين** ﴾ واليقين الموت أى نهاية عبادتك الموت ، وإذَنْ فلا عبادة تقع منه – ﷺ – بعد موته بهذه الآية والدليل على أن اليقين هو الموت : حديث عثمان بن مَظْعُون الذى باشرتُ إليه الآن ، فلما مات عثمان بن مَظْعُون وقالت أم العلاء : رحمة الله عليك أبا السائب ، فشهادتى عليك لقد أكرمك الله ، وقال – ﷺ – وما يدريك أن الله أكرمه ؟ ففى الحديث يقول ﷺ ، أمّا هو (أىَ عثمان) فقد جاءه اليقين (الموت) وإذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث الحديثَ يفيد أنه لا تقع عبادة من الإنسان بعد موته ، ولكن إذا كان له عمل صالح قام به فى حياته وله أثره الطيب بعد موته فإن الله يُجْرِى عليه الثواب وهو الذى قلت عنه هنا إنه الصدقة الجارية .

ومعى دليل ثالث : وأرويه بمعناه الآن : وأقول : إن النبى – ﷺ – قال أمام عائشة : « **وارأساه** » ، كأنه يخبرها بأنه سيموت .

فقالت عائشة : بل أنا وارأساه ، فقال لها النبى – ﷺ –: « **ذاكِ لو كان وأنا حيٌّ فادعوَ لك واستغفر لك** » .

ومعنى هذه العبارة :

أن النبى يقول لعائشة سأموت أنا قبلك ، ولو مُتِّ أنت قبلى . أى مُت وأنا حى . لاستغفرت لك ولدعوت لك ...

– إذن الذى يمنعنى من أن أستغفر لك بعد موتك أننى لن أكون حياً بعد موتك لأننى سأموت قبلك .

يدل هذا الحديث دلالة واضحة على أن النبى – ﷺ – بعد موته لا يقع منه عبادة فلا يقع منه استغفار لأحد من أمته ، لأنه لو كان من الممكن شرعا أنْ يستغفر لأحد بعد موته لكانت عائشة أحق وأوْلى بذلك .

ثم أقول للذين يقولون : إن النبى يستغفر لنا بعد موته : أنكم بذلك سوف تتيحون الفرصة للعصاة ، فإننى إذا علمت أن النبى – ﷺ – سوف يستغفر لى إذا أذْنَبْتُ فإننى سوف أتكل على استغفاره وأقصّر ، فإذا قلت لى : لماذا تذنب ؟ أقول لك : إن النبى سوف يستغفر لى . ومن الخير للناس ألَّا تقول لهم هذا حتى لا يتكلوا .

ثم إن ربنا يقول : ﴿ **وكأيِّنْ من قريةٍ عتَتْ عن أمر ربها ورسله فحاسبْنَاها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا ، فذاقت بوال أمرها وكان عاقبةُ أمرها خسرا ، أعد الله لهم عذابا شديدا** .. ﴾ [الطلاق : ٨–٩] .

كيف يقول ربنا هذا وأنتم تقولون : إن النبى فى قبره يستغفر لهم والآية عامة فى الكافرين وعصاة الموحدين .

إنّ معنى هذا أنّ جميع الآيات والأحاديث التى تتحدث عن عقاب العاصى يوقفُ العمل بها ، لأنه بدلا من أن يعاقبهم الله سوف يستغفر لهم الرسول : « إن البديهى الذى يعرفه كل مسلم أنه إذا أذنب أن يستغفر لكن هذا الحديث يقول لى : أوقِفْ الاستغفار ، لأن نبيك بعد موته يستغفر لك .

الله يقول : ﴿ من يعملْ سوءا يجزيه ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ﴾ [النساء : ١٢٣] .

وأنتم تقولون : من يعمل سوءاً يستغفر له النبى بعد موته ونحمد الله أن الحديث ضعيف .

فأبو بكر المازنى التابعى يقول : قال رسول الله - ﷺ - متى رأى النبىَّ - وسمع منه ؟ وإذَنْ فانتفاع الحىّ من أعمال الميت لا يتأتى إلّا فى الحدود التى ذكرتُها لك وهو أن يكون له أعمال طيبة لها آثارها الطيبة بعد موته ، وينتفع الناس بها وهى الصدقة الجارية .

الشفاعة هل ينتفع بها المشفوع له . ومتى ؟

لن أتحدث هنا عن الشفاعة من جميع نواحيها ، وإنا أذكر منها ما يتعلق بهذا البحث وهو أن الشفاعة دعاء من الشافع ينتفع به المشفوع له لكن فى حدود بينها الشرع فإذا عرفتها لم تجد تعارضا بين النص الذى يثبتها والنص الذى ينفيها والشفاعة نوعان : شفاعة دنيوية ، وشفاعة أخروية .

الشفاعة الدنيوية .

قد تجد شابا صالحا يحتاج إلى عمل يرتزق منه رزقا حلالا فترجو مدير العمل أن يفسح له مجال العمل بدون أن تأخذ رشوة من ذلك الشاب . وقد نجد امرأة أخطأت فى حق زوجها ثم أعتذرت ، فرجوت الزوج ألّا يطلقها من أجل أولادها ، وسعيْت أملا ألا يخرب هذا البيت ، أمثالُ هذه الشفاعة الدنيوية تؤجر عليها ما دُمْتَ فيها لم تظلم أحداً ، وقصدت بتلك الشفاعة وجه الله ، وتسمى هذه شفاعة حسنة . ويذكّرنا بها أن الصحابية الجليلة بربرة لما أصرت على أن يطلقها زوجها ، وعرضَتْ ذلك على النبى - ﷺ - فقال لها النبى - ﷺ - ما معناه أرجعى إلى حياة الزوجية ولا تفرطى فى زوجك ، فقالت للنبى - ﷺ - (إلى آخر الحديث) . وكان النبى إذا جاءه أحد وقصد من النبى شيئا - كان النبى يقول : « اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء .. »[1] أما الذى يحذرك منه الشرع فهو أن تعلم أن هذا الرجل لص خائن يخشى منه ولم تظهر منه بوادر التوبة والرجوع فتشفع له وأنت تعلم أنه ليس من الخير أن يعود إلى هذا

المرتزق ويُشفع له ... ومثل هذه الشفاعة تسمى الشفاعة السيئة ، ويعاقبك الله عليها .

يقول – الله تعالى –: ﴿ **مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يكُنْ لَهُ نَصيبٌ منْها وَمَنْ يشْفعْ شَفَاعَةً سيئةً يكنْ لَهُ كفلٌ منْها وكانَ اللهُ على كلّ شيءٍ مُقيتا** ﴾ [النساء : ٨٥] .

ويذكّرنا بالشفاعة السيئة ذلك الحديث الذى أذكره بمعناه لا بلفظه كما فى الكتب : وهو أن المرأة المخزومية سرقت واستحقت أن تُقطع يدها وأهم قريشا أمرُها فأرادوا أن يكلموا النبى – ﷺ – فى شأنها ، وخافوا أن يغضب النبى – ﷺ – فقالوا لأسامة بن زيد أن يكلم النبى فى شأنها ، لأنه حِبُّ رسول الله أى أنّ رسول الله – ﷺ – يحبُّه ، فلما قال ذلك أسامة للنبى – ﷺ – غضب النبى – ﷺ – وظهر الغضب فى وجهه وقال : أتشفع فى حد من حدود الله – إلى آخر الحديث والمقصود أن هذه الشفاعة لم تنفع المشفوع له ، لأنها شفاعة سيئة .

الشفاعة الأخروية .

وهى الشفاعة التى تتصل بالبحث اتصالا وثيقا ، فهى أن تدعو الله عز وجل لفلان أن ينجيه الله من العذاب ، فينتفع هو من تلك الشفاعة ، فهو قد انتفع بدعائك والدعاة عبادة – وهذه الشفاعة لا تنفع ولا تحقق الثمرة المرجوة منها إلّا إذا كانت فى حدود مشروعة .

وقد اشترط العلماء للشفاعة الأخروية شروطا : منها أن يأذن الله – عز وجل – للشافع أن يشفع قال تعالى : ﴿ **مَنْ ذَا الَّذى يَشْفَعُ عنْدَهُ إلّا بإذنه ..** ﴾ (آية الكرسى) . ومنها أن يكون المشفوع له أهلًا لتلك الشفاعة مستحقا أن ينتفع بها ، ويوضح هذا الشرط الثانى أن إبراهيم الخليل سوف يشفع فى أبيه ، ولا تنفع هذه الشفاعة لأن المشفوع له وهو أبوه ليس أهلا لانتفاعه بتلك الشفاعة . وفى حديث الحوض : يقول النبى – ﷺ – كيف تمنعون هؤلاء من أن يشربوا من

حوضى وهم من أمتى ... فهذه الشفاعة منع من الانتفاع بها مانع وهو أن المشفوع لهم ليسوا أهلا للشفاعة ، لأنهم مبتدعون وبهذا نستطيع أن توفق بين النصوص التى تثبت الشفاعة والنصوص التى تنفيها ...

وقد علمت أن بعض النصوص تنفى الشفاعة كآية سورة البقرة : ﴿ **واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا تقبل منها شفاعة ...** ﴾ وقد علمت أن بعض النصوص تثبتها كقوله تعالى : ﴿ **من ذا الذى يشفع عنده إلَّا بإذنه** ﴾ .

ومما يشرح صدورنا ويجعل أملنا قويا فى شفاعة نبينا محمد – ﷺ – أنك إذا سألت للنبى – ﷺ – الوسيلة (فى حديث الأذن) فإن النبى يبشرك بأنك تستحق شفاعته : فمن سأل الله لى الوسيلة وجَبَتْ له شفاعتى : فالشفاعة منفية هى التى فقدت شروطها ، والشفاعة المثبتة هى التى توفرت فيها شروطها . وبهذا تدرك إلى أَى مدىً تنفع الشفاعة المشفوع له من حيث إنها دعاء ، والدعاء عبادة . فالمشفوع له انتفع بعبادة غيره .

(هل ينتفع الميتُ بصيام الحى) ؟

إذا قلنا : نَعَمْ ، ففى حدود مشروعة أيضا ، وليس مطلقا ، وإلَّا صام أَىُّ حى لأى ميت ، والدليل على أن هذا حدده الشرع وقيده بقيود ذلك الحديث العظيم الذى يفيد أن صحابية جليلة قالت : « **إن أمى نذرت أن تصوم ثم ماتت قبل أن توفى بنذرها أفأصوم عنها فقال – ﷺ – أرأيت إنْ كان على أمك ديْن أكنتِ قاضيتَه ؟ قالت : نعَم ، قال : فصومى ، ثم قال ﷺ فَدَيْنُ الله أَحَقُّ أن يقُضَى** » والذى يطمئن إليه قلبى أنه لا حاجة فى هذا إلى القياس وأن نجعل الأمر هنا مقصورا على ما يفيده هذا الحديث فالذين أفتوا بالقياس وجعلوا صيام الحى عن الميت أعم فليتحملوا تبعة فتواهم ، ومادامو وصلوا إلى هذا عن طريق الاجتهاد الصحيح فهم مأجورون أخطؤوا أم أصابوا .

هل ينتفع الميت بحج الحى ؟

إذا كنت معى أننا لا نتجاوز الوارد عن رسول الله - ﷺ - فاعلم أنه - بحسب علمي - قد ورد فى ذلك روايتان : الأولى : أن صحابيا جليلا قال للنبى - ﷺ -: « **إن أمى نذرَتْ أن تحج ، أفأحج عنها فقال النبى - ﷺ -: نعم** » .

الثانية : أن النبى - ﷺ - سمع صحابيا يقول : لبيك اللهم عن أخى شبرمة فقال النبى - ﷺ -: « **حج عن نفسك ثم حُجَّ عن شبرمة** » .

فإن صلح الحديث الثانى للاحتجاج به - قلت :

تحج عن أبيك وأمك بشروط : منها : أن تحج عن نفسك أولا ، ومنها أن ترى أباك أو أمك يستعد للحج ولم يتمكن أو تعلم عنه أنه يتمنى أن يحج ولكنه لا يستطيع . أما إذا كان أبى شديد الإعراض عن الله - عز وجل - ولم يبدُ لى منه أية رغبة فى هذه العبادة فهل لى أن أحج عنه ؟

من حقى هنا أن أقول : لا أدرى ... ثم لك أن تحج عن أخيك فى هذه الحدود ... .

(هل تقرأ على الميت قرآنا) ؟

المقصود بهذا السؤال أنه كما أنك تدعو للميت ، وتتصدق عليه ، فهل نقرأ قرآنا على أن ينفعه هذا القرآن وهو فى قبره ؟

لا أشك أنّ فى هذا خلافا بين الفقهاء ، ولكننى سوف أعرض ما أنا مقتنع به ، وأبين لك الذى أقنعنى ... فأقول .

إنّ الذين يقولون : إنَّ قراءتك للقرآن من أجل الميت تنفعه استندوا إلى ما يأتى ؟

أولا : أحاديث تفيد بظاهرها ذلك ، لكن علماء الحديث ضعفوها ، وما دمت أريد أن أنفع الميت ، فلماذا أترك المتفق عليه إلى المختلف فيه بخاصة إذا كانت

أحاديثه ضعيفة ، وفى المتفق عليه ما يحقق المراد ، والمتفق عليه هو الدعاء والصدقة والصيام ... فى حدود الشرع .

ثانيا : القياس : وقد قالوا : ما دام قد ثبت أن الدعاء للميت ينفعه ، وكذلك الصدقة والصيام فى الحدود المشروعة فإننى أقيس عليها قراءة القرآن من حيث إن الجميع قربة إلى الله .

وأقول : هل هذا من الأمور التى تتسع للقياس؟ وهل هناك ضرورة تدعو إلى القياس ...

ثالثا : قالوا : نقرأ القرآن ونهب ثوابه للميت ، وقد قال بهبة الثواب قوم منهم الصنعانى فى سبل السلام .

ولكننى أقول : الإنسان لا يحق له أن يهب إلّا ما يملك ، ولا ينذرُ إلّا ما يملك ، ولا يتصدق بشىء إلّا إذا كان مملوكا له وهل الثواب ملكُ لك ؟ الثواب تفضلٌ من الله عز وجل على العبد فكيف تهب شيئا لا تملكه وليس هذا كلامى كما لا يخفى على القارىء فإن أحببت أن تكون معى فإننى أجد فى الأحاديث الصحيحة وفيما اتفق عليه ما يغنينى غير أننى أتساءل ؟ لو أننى قرأت قرأنا ثم جعلته وسيلتى إلى الله ، وتوسلت به إلى الله أن يغفر لفلان الميت فهل يحق لى ذلك ؟

لا أستطيع أن أمنع ذلك ، فإن كان عند القارىء ما يبطل ذلك فليدلّنا عليه فقد قلت فى مقدمة البحث إننى رحب الصدر بالنقد ما دام نقداً بناءً .

هذا : وقد تحدث العلماء على حديث : « **اقرؤوا على موتاكم يس** »[1] وقد أجاب أبو داود عن هذا الحديث بجوابين :

أحدهما : ضعف الحديث .

ثانيهما : أن المقصود به أن تقرأ يس أو غيرها من القرآن عند الميت وهو لا زال حيا ، عند اختضاره ، كى تذكّره ، ليكون ذلك أعون على أن يموت على الإسلام .

وسائل غير مشروعة ... إقامة الأربعين

سبق أن قلت : إن المسلم لا ينتفع بعبادة المسلم إلا بشروط واضحة للذين يقرؤون البحث ، ومن أهم هذه الشروط أن تكون العبادة مشروعة ، فإذا كانت بدعا لم تفد ، فإن ربنا لا يحب أن تتقرب إليه إلا بعبادات شرعها هو عز وجل ، فجاءت فى كتابه أو فى سنة نبيه – ﷺ – ونحن نصف ربنا بالوحدانية فى كل كمال ، ومن بين ما هو (عز وجل) واحد فيه تشريعُه ، فكما أنه – عز وجل – لا يحب أن تَعبُدَ غيره . فإنه لا يحب أن تعبده بغير تشريعه وليس المقصود بهذا البحث التحدث عن البدع ، فذلك أرجو أن يكون له بحث خاص به إن شاء الله . ولكن المقصود كما قلت بيان أن بعض المسلمين بدافع حُسْن النية ، يحاول أن ينفع الميتَ ، وبسبب جهله أو تجاهله أو معاندته أو نفعه الدنيوى الزائل – يقوم بأعمال يريد بها أن ينفع الميت ، وإذا أحسنَّا الظن به قلنا : إنه جاهل بالسنة حسن النية وقد تكون هناك مقاصد أخرى كما قلت : تقليد المجتمع ، وتقليد ما كان عليه الآباء ، والخوف من لوم الناس ، والنفع الدنيوى الذى يصيبه بسبب ارتكاب تلك البدع ، والمعاندة لأهل السنة والتأثر بناس أضلهم الله على علم .. .

وتحت دافع من هذه الدوافع يأبى إلَّا أن يجدد الأحزان فى اليوم الأربعين للوفاة ، والعجيب أنهم يدْعون إليها الناس ببطاقات الدعوة وينشرونها فى الجرائد وينفقون عليها من مال الورثة ببذخ وقد يكون فى هؤلاء الورثة صغار ضعاف ، فيجتمعون ، ويكلفون شيخا أن يقرأ القرآن ، ولو أنهم فهموا مهمة القرآن وعرفوا لماذا شرعه الله عز وجل لما أقدموا على بدعة الأربعين ، وأعتقد أن هذا تقليل من مكانة القرآن ولقد تأثرنا بهذه البدع حتى إن الواحد منا إذا سمع قرآنا سأل وقال : مَن الذى توفى اليوم ؟ كأن الله ما أنزله إلَّا لهذا ، والذى أراه أنهم لا يتدبرون معانى القرآن الذى يسمعونه وإنما هى مهمة شكلية بحتة تدفع إليها الدوافع التى ذكرتُها ولو أنهم تدبروا القرآن الذى يسمعونه وعرفوا أن القرآن منهاج للسلوك وأنه يشتمل على الأوامر والنواهى – ثم سمعوا قوله تعالى :

﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يُصيبَهُم عذاب أليم ﴾ [النور : ٦٣] لعرفوا أن الأربعين مخالفة عن أمر رسول الله - ﷺ - ولأقلعوا عن عادة الأربعين وياليت القارىء يقصد بقراءته أنه يعّلم ، يعرض علينا الآيات بقصد العمل بها . ولكنه حريص على جمال الصَوت وعذوبة النغم ، ولذلك ترى الناس يقيسون القراء بهذه المقاييس ، أىْ نستحضر للأربعين أعذبهم نغماتٍ وأجملهم صوتاً صارفين النظر عن الأوامر والنواهى والعظات والعبر التى من أجلها أنزل الله - عز وجل - كتابه ، ويتفق الذين يحيون هذه البدعة المنكرة على أن يختاروا من أقارب الميت من يقفون طابوراً كطابور الجمعيات ، وكل من دُعى للحضور يحضر ويصافحهم واحداً واحداً يعزيهم كأن الميت مات اليوم .

من أيْن أَتَوا بهذا ؟ وهل أقام الصحابة الأربعين بعد وفاة رسول الله أو بعد وفاة صحابى أو بعد وفاة تابعى ، وهل عندهم آية فى هذا أو حديث ؟

إن بدعة الأربعين وثنية يهودية نصرانية ، الدارس لتاريخ الفراعنة يجد أنهم يظلون حزينين على الميت أربعين يوما ، وفى الإسرائيليات أن داود ظلوا يحزنون عليه أربعين يوما ، وإذَنْ فنحن تشبهنا بأهل الجحيم ومن تشبه بقوم فهو منهم(١) . ثم إن هذه الفقات ظلم للورثة وقد يكون فيهم الفتاة التى تستحق أن تُعِفَّها عن الحرام بالزواج ، ولا شك أنه أسراف وتبذير ، والمبذرون إخوان الشياطين والمسرفون يبغضهم الله عز وجل .

قال تعالى : ﴿ ولا تُسْرِفُوا إنَّه لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف : ٣١]. وقال : ﴿ ولا تُبذّرْ تبذيرًا إنَّ المبذرينَ كانوا إخوانَ الشياطينِ ، وكانَ الشيطانُ لربه كَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٧] .

فالذين يقيمون (الأربعين) لا يحبهم الله وهم إخوان الشياطين ، وبهذا وصفهم الله - عز وجل - .

وإذَنْ فإقامة الأربعين مع ما فيها من بعض العبادات - لا تنفع الميت ، وإذا كان الميت قد أوصى بها فإنه يشارك فى الإثم ، ولذلك أقترح على كل مسلم أن يكتب وصيته كما قال - ﷺ - ويقول فيها أنا برىء من إقامة الأربعين .

لقد قال - ﷺ -: « **ما حقُّ امرىءمسلم يبيت ليلتين إلَّا ووصيته مكتوبة عنده ، يوصى فيها بأنه برىء من جميع البدع التى يقصدون بها نفع الميت** » نقول : يقصدون بها نفع الميت إن أحسنَا الظنّ بهم ، ولكن هناك الدوافع التى ذكرتُها أما الذين يحضرون الأربعين ويكثرون سواد الحاضرين فإنهم يشاركون فى الأثم ولذلك أقترح أن يحضر الدعاة المخلصون فى يوم الأربعين ويرفعون أصواتهم بأن هذا منكر ويجب الإقلاع عنه ويقيمون الأدلة على أن هذا مغضب لله عز وجل . وقد بلغنى أن بعض البلاد أقلعت عن هذه البدعة وغيرها . . .

فالمقصود : أن إقامة الأربعين ولو اشتملت على بعض العبادات كالصدقات وقراءة القرآن - لا تنفع الميت ، بل يرتكب المقيمون للأربعين ذنوبا كما تقدم وعلماء الأزهر مجمعون الآن على أن الأربعين منكر ، فيأليت المسلمين يتعاونون على إلغاء هذه البدعة ويوفروا مصاريفها للورثة أو لطرق الخير المشروعة أما أنت أيها القارىء فاسمع نصيحتى وثق بأنك إذا أبيت حضورها لله عز وجل - فإن الله لن يضيعك ، وأنت تقرأ : ﴿ **وما من دابة فى الأرض إلَّا على الله رزقها** ﴾[٦] هود ولعلك سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **إنَّ روح القدس نفث فى رُوعِى أنه لن تموت نفس حتى تستوفىَ رزقها** » ، وأنا أعرف إخوة لنا كانوا قراء السرادقات ، وتورَّعوا عن حضور الأربعين خوفا من الله ، وقالوا لى : إن الله عز وجل لم يضيعهم ، بل جاءهم رزقهم الذى قسمه الله لهم .

(أ) المظلوم ينتفع بعبادة الظالم .
(ب) معصية المظلوم تضر الظالم .

هذا العنوان يدخل فى دائرة هذا البحث ، وهو بيان أن بعض الناس ينتفع بعبادة غيره ، وبعض الناس يضار بمعصية غيره فى الحدود التى بينها الشرع ، ذلك أن الإسلام حَذَّرك من أن تظلمَ غيرك ، ولو كان كافرا ، فإن عدالة الله المطلقة الكاملة أعطتنا أن الله - عز وجل - يستجيب دعوة المظلوم وإن كان كافراً ، وأن الله - عز وجل - يستجيب دعوة المظلوم سواء كان المظلوم كافرا أو مؤمنا ،

وأتحدث عن المظلوم إذا كان مؤمنا وله طاعات وله معاص ، فإن الله - سبحانه وتعالى - سوف يجمع بين المظلوم والظالم .. ثم يطالب الظالم أن يرد للمظلوم حقه ، فيجد الظالم نفسه مُفلسا وليس معه درهم ولا دينار ، فيأخذ الله من حسنات الظالم ، فيضمها إلىٰ صحيفة المظلوم ، وبذك تنقص حسنات الظالم ، فإذا أعطى الله المظلوم من حسنات الظالم ما يوفيه حقه ، فهنيئا للمظلوم ، وياويحَ الظالم ! وقد يعطى الله المظلوم من حسنات الظالم فلا يكون فى حسنات الظالم كلها ما يوفى المظلوم حقه ، فيأخذ الله من سيئات المظلوم ويضمها إلى صحيفة الظالم ، فيدخل الظالمُ النار .

وقد قال - ﷺ - ما معناه أتدرون من المفلس فيكم ؟ قالوا : الذى لا درهم ولا دينار معه ، فقال - ﷺ - بل هو الذى ظلم هذا ، وسفك دم هذا ، فيأخذ الله من حسنات الظالم ويعطيها المظلوم ، فإذا كانت هذه الحسنات لا توفى المظلوم حقه أخذ الله من سيئات المظلوم وأعطاها الظالم فدخل النار (والحديث مروى بالمعنى) هنا وذلك يعطينا أمورا .

أحدها : أن هذا دليل على أن البعض ينتفع بحسنات البعض ، وأن البعض يضار بسيئات البعض .

ثانيها : التحذير من الظلم ، فقد عرفْت عاقبته .

ثالثها : العدالة المطلقة الكاملة لرب العالمين حيث أنصف الكافر .

رابعها : أن العبد قد يكون ظالما وله حسنات .

قال - عز وجل - : ﴿ **لا أُضيعُ عملَ عاملٍ منكم من ذكرٍ أو أُنثى بعضكم من بعض** ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

فإذا كان المظلوم كافرا فإنه يُخلَّد فى النار ، ولا يمكن أن تُضم حسنات الظالم إلى صحيفته ، فإن كفره يحول دون ذلك . وقد يقول : فأين العدالة المطلقة الكاملة هنا ؟

فأقول لك : سوف يعاقَب الظالمُ على ظلمه بمقدار ما ظلم ، ثم لا نستبعد أن يخفف الله عن الكافر من العذاب بمقدار ما يستحقه لَدَى الظالم ... وقد عرفْت

أنّ الله يخفف عن الكافر من العذاب بمقدار ما يستحقه لدى الظالم ... وقد عرفت أخفُّ الناس عذابا ، ذكر النبى - ﷺ - أن أخف الناس عذابا يكون فى ضحضاح من النار تغلى منها دماغه وينتعل بنعل من نار ، وذكر النبى - ﷺ - أن هذا عذاب أبى طالب ... وإذَنْ فالكافرون كما ذكرت يتفاوتون فى العذاب كما أن المؤمنين يتفاوتون فى النعيم ..

وقد حذر النبىُّ - ﷺ - من ظلم المؤمن للكافر ، فقد قال - ﷺ - : ما معناه : مَنْ ظلم معاهَداً أو أنتقصه حقه أو أخذ منه شيئا عن غير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة ...

هل ينتفع الميت بزيارتك لقبره ؟

الذى يعنينى هنا أنْ أوضحه ، أن زيارتك لقبر أخيك المسلم بالطريقة المشروعة عملٌ صالح ، وأن الميت سوف ينتفع به فى حدود الشرع . ولست بصدد الكلام عن زيارة القبور من جميع نواحيها ، ولكن من هذه الناحية ، وهى انتفاع الميت بزيارتك لقبره .

إنك إذا زرت قبر أخيك المسلم قاصداً وجه الله - عز وجل - قاصداً أن تدعو لأخيك المسلم أن يكرمه الله - عز وجل - فى قبره ، قاصداً أن تتعظ وتعتبر ، وذكرت الله - عز وجل - الذكر الذى ورد عن النبى - ﷺ -، فقلت : « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، ورحم الله المستقدمين منا والمستأخرين أنتم السابقون ، وأنا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية** » ثم كان الميت أهلا لقبول هذا الدعاء ، فإن الميتَ يستفيد من العبادة التى كانت منك ، وهى أنك خطوْتَ خطواتٍ لله ودعوت له وسلمْت عليه والسلام دعاءٌ .

فإذا تجاوزَتْ زيارة القبور الحدودَ الشرعية كان الرجاء فى استفادته من زيارتك مستبعدا بمقدار هذا التجاوز ، فانظر كيف انتفع الميت بدعائك له ؟

هل ينتفع الميت بزيارة المرأة لقبره ؟

ذلك يتوقف على معرفة القول الفصل فى حكم زيارة المرأة للقبر ، وقد اختلف العلماء فيها بين مَن يبيحها وبين من يمنعها ويحذر منها ، وسبب الأختلاف هو ما ذكرتُه فى أول البحث وهو ادعاء التعارض بين الأحاديث والنصوص .

فالذين منعوا من زيارة المرأة للقبر استندوا إلى ما يأتى :

(أ) حديث : لعن الله زوارات القبور[1] ، وفى رواية : لعن الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج[2] .

(ب) أن المرأة يخشى من زيارتها للقبور ألا تحقق الزيارة المشروعة فى الحدود التى ذكرتُها لك ، يخشى أن تنوح وتولول وتصرخ ، وتتكلم بألفاظ مسخطة لله - عز وجل - فحتى لا يقع فى هذه المعصية وحتى لا يتحمل زوجها الوزر معها من حيث إنه أذن لها - نمنعها من زيارة القبر ، والأخذ بالأحوط وبسد الذرائع مسلك طيب يسلكه كثير من الفقهاء .

(جـ) المرأة فتنة ، لقول النبى - ﷺ -: « **ما تركت بعدى فتنة أضرَّ على الرجال من النساء** » فسواء خرجت متبرجة أو ساترة جسدها ، فإننا لا نأمن عليها أن تفتتن ؟ ولا نأمن على غيرها أن يفتتن بها ، وقد تكون هذه الفتنة فى خروجها لزيارة القبور ، وليست زيارة القبور من الضرورات التى تبيح للمرأة شرعا أن تخرج على أن زيارة القبور مندوبة وليست متحتمة على الرجال ، ولا على النساء فإذا كان الأمر المندوب يترتب عليه احتمال ارتكاب محظور - كان الأحوط للدين أنْ نمنعها .

(د) على أن كثير من نسائنا يكلّف الزوج ما لا يطيق فتطهو أطعمة وتُعِدُّ خبزا و (قُرَصاً) وفواكه وتذهب بها إلى القبر ظانَّة أن ذلك رحمة للميت ، ثم سوف تجد هناك من يقرأ القرآن عند القبر ، وقد حذر النبى - ﷺ - من قراءة القرآن عند القبر ، وقد حثنا على ألا نجعل بيوتنا قبوراً ، على أن فى قراءة القرآن عند القبر بهذه الصورة إهانة للقرآن .

وإعدادها لهذه الأطعمة وذهابها بها إلى القبر إسراف وتبذير ، فسوف يأخذها من لا يستحقها ...

(هـ) ثم إن المرأة لا تنظر إلى زيارة القبور على إنها اتعاظ واعتبار ودعاء للميت وإنما هي عادات ذميمة ، وهي عند المرأة أوجب الواجبات .

وبهذا لا ينتفع الميت بزيارة المرأة ، فإن زيارتها بهذه الصورة ليست عبادة لله - عز وجل - .

(و) أضف إلى ذلك ما ابتدعته النساء وهو تحديد زمن لتلك الزيارة فيزرْنَ .

الميت كل خميس ، ولم يثبت أن النبى - ﷺ - حدد يوما لزيارة القبور ، وتحديدُ الزمن للعبادة حقٌ لله عز وجل .

والذين أباحوا زيارة المرأة للقبور بشرط ألَّا تخرج عن الحدود الشرعية ، وبشرط أن تخرج محتشمة ساترة جسدها ، وبشرط ألا ترتكب هناك محظورا ...

استندوا إلى ما يأتى :

١ - أن الرسول - ﷺ - قال : « **كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، ألَا فزوروها .. فقالت عائشة : فماذا نقول ؟ فقال - ﷺ - قولوا : السلام عليكم** » إلى آخر الحديث ... فلو كانت زيارة القبور محظورةً على النساء لقال النبى - ﷺ - لعائشةَ : إلَّا النساءَ لأن الذى سأله هو عائشة ، وعائشة تقول : ماذا نقول ، ولم تقل فماذا يقول الزائر (الرجل) ولم تقل فماذا يقول الزائر الذى تباح له الزيارة فالنبى قال لها : قولوا والخطاب للجميع .

٢ - إذا أمر الله بأمر بصيغة جمع الذكور أو نهى عن شيء كذلك ، فإن كلًّا من الأمر والنهى يشمل الرجال والنساء ، ولا يخرج النساء من الأمر والنهى إلَّا بدليل يستثنى النساء ، فأين هو ؟

فإذا قال الله : ﴿ **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام** ﴾ شمل ذلك الرجال والنساء وهكذا .

والنبى - ﷺ - قال : « **فزوروها** » فشمل الأمر الرجال والنساء .

٣ - المرأة التى وجدها - ﷺ - عند القبر تبكى على ولدها ، ثم أمرها النبى بالصبر ، ولم تكن تعرف أنه النبى ، فقالت للنبى - ﷺ - ما معناه : أبعدْ عنى أيها الرجال فإنك لا تدرى ما أنا فيه ، فلما قالوا لها : إنه رسولُ الله ، اعتذرت للنبى - ﷺ - فقال لها النبى -ﷺ - إنما الصبر عند الصدمة الأولى .

فالرسول - ﷺ - لم يحذّر المرأة من زيارة القبر ، وإنما حذَّرها من الهلع وأوصاها بالصبر ، فلو كانت زيارة المرأة للقبور محظورة لمنعها النبى - ﷺ - .

هذا هو الذى أُذكره من أدلة المبيحين للمرأة أن تزور القبور فى الحدود المشروعة ويعجبنى صنيع الشوكانى فى كتاب الدرر المضيئة فإنه وفق بين الحديثين بطرق منها :

إن حديث لعن الله زائرات القبور ضعيف وأن حديث : لعن الله زوارات القبور يفيد أن المنهى عنه أن تكثر المرأة من زيارة القبور لأن هناك فارقا بين زوارات وزائرات وهو أن زوارات معناه ألَّا يكثرن من الزيارة ، لأن (زوارات) صيغة مبالغة تفيد الكثرة ، وانتهى هذا العالم العظيم إلى أنه قال : إذا خرجت المرأة لزيارة القبور فى الحدود المشروعة فلا مانع .

وهنا أقول للمرأة التى تريد أن تزور القبر توضيحا لكلمة (الحدود المشروعة) :

١ - أن تخرجى غيرَ متبرجة .
٢ - وأن تستأذنى زوجَك .
٣ - ألا تكون الزيارة معطلة لخدمة زوجك وأولادك .
٤ - أن تقصدى بالزيارة العظة والاعتبار وتذكر الآخرة .
٥ - ألا تحددى أياما كأيام الخميس فإن التحديد من شأن الله-عز وجل-
٦ - أن تبتعدى عن الإسراف .
٧ - ألا تكلفى أحداً أن يقرأ قرآنا عند القبر .
٨ - أن تزورى القبور الزيارة الشرعية .

٩ - ألا تنوحى وألا تتكلمى بكلام يغضب الله - عز وجل - .
١٠ - أن تنظرى إلى زيارة القبور على أنها عبادة الله كالصلاة .
١١ - ألا تكثرى منها .

أعتقد أنه إذا زارت المرأة القبور فى هذه الحدود فلا ضَيْر فى ذلك بخاصة وقد ذكرت لك الأدلة على الإباحة .

هل ينتفع الميت بغرس شجرة على القبر؟

العبادة التى تؤديها لا ينتفع بها غيرك إلا إذا كانت مقبولة وتثاب أنت عليها ، ولا يقبل الله العبادة من المؤمن إلَّا بشرطين :

أحدهما : أن يكون العمل متفقا مع الشريعة بأن يدلَّ على صحته آية أو حديث صحيح أى صالح للاحتجاج به .

ثانيهما : أن أقصد به وجه الله - عز وجل - فهل غَرْسُ شجرة على القبر ينطبق عليه هذا المعنى ؟ الذى أريد أَصلَ إليه أن ذلك لا يجوز ولا ينطبق عليه أنه عمل مقبول ، وقد تقول : فما الذى جعل بعض المسلمين يهتمون بذلك ، وأقول لك : إن بعض الذين أضلَّهم الله على علم استند فى دعوى أن هذا العمل مشروع وأنه يخفف به عن الميت - استند فى دعوى أن هذا العمل مشروع وأنه يخفف به عن الميت - استند إلى حديث صحيح : خلاصته ومعناه أن رسول الله - ﷺ - مر على قبرين فقال : يُعَذَّبان وما يُعَذَّبان فى كبير ، أَما أحدُهما فكان لا يستنزهُ من البول، وأما الآخرَ فكان يمشى بالنميمة ، ثم وَضَعَ على كل قبر منهما جريدة خضراء ، ثم قال : لعَلَّه أنْ يخفف عنهما ما لم تيبسا ، ونسى هذا الذى أضلَّه الله على علم أنْ هناك خصوصيات للنبى - ﷺ - وهذا منها - وتوضيح ذلك أننى أقتدى بالنبى - ﷺ - فى كل ما يفعله وفى كل ما يقوله إلا إذا ثبت أنه خاص به ، فلا أتبعه فيه ، ووضع الجريدتين على القبريْن خاص برسول الله - ﷺ - .. ولا أحكم بأن هذا الأمر خاص بالنبى إلَّا إذا كان معى دليل والدليل على أن وضع الجريدتين الخضراوين على القبرين - خاص بالنبى - ﷺ - ما يأتى :

١ – لم يثبت أن النبى – ﷺ – نفسه كررها فوضع جريدة خضراء على قبر أحد بعد هذين ..

٢ – لم يثبت أن صحابيًّا فعل ذلك .

٣ – النبى فعل ذلك بالقبْرين بعد أن أَعلمه الله بذلك ، لأن عالَم القبر غيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله ، وأنت لا يمكن أن ترى ميتا فى قبره يُعَذَّب أو ينعَّم فالنبى – ﷺ – لم يعلم بأن هذين يعذبان إلَّا بعد أن أعلمه الله ، وأنت حين تريد وضع جريدة على قبر ، مَنْ الذى أعلمك أنه يعذب ، النبى رأهما يعذبان ، فهل رأيت أنت ميتك يعذب ؟ وإذَنْ فرؤية القبريْن يعذبان خاصة برسول الله ، ووضع الجريدتين الخضراوتين خاص برسول الله – ﷺ – .

٤ – الذين غرسوا شجرة فوق القبر يجب أن يفرقوا بين الشجرة وبين الجريدة الخضراء وأَنتهز هذه الفرصة فأنصح بأنه لا يليق بالمسلمين أن يقلدوا الأجانب فيضعوا الأزهار فوق القبور ، ومن البدع المتصلة بهذا المعنى أنهم يشيعون الميت إذا كان شابا بالأزهار فليحذر المسلمون ذلك ، ومن تشبه بقوم فهو منهم وإذا كان من خصوصيات نبينا محمد – ﷺ – أنه تزوج تسعاً ، فهل لى أن أتزوج تسعا وأن أجمع بينهن فى وقت واحد ؟!

وإذَنْ فغرسُ شجرةٍ أو وضع زهور على قبر الميت لا يفيد الميت ، ويُؤاخَذُ فاعلهُ وكان مما قرأت أن الحسين – رضى الله عنه – رأى رجلا يضع مظلَّة على قبر ظانًا أن فى ذلك تخفيفا عن الميت ، فنهاه وقال له : إنَّما يُظلَّهُ عمله ...

هل ينتفع الميت بقضاء دينه ؟

الذى يعرف الإسلام حق المعرفة لا يستدين إلَّا إذا كان مضطرا ، قاصداً أن يؤدى الدينْ أملا أن يعينه الله على سداد ديْنه فإذا علم الله – عز وجل – منه هذا – ثم عجز عن أداء الديْن أدَّى الله عنه ، فإذا مات والله يعلم عجزه لن يعاقبه ، ويُرضِىّ هو عز وجل الدائن بنعيم فى الجنة : يقول : ﷺ – من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدّى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله ، أضيف إلى هذا أن يكون الدائن قاصدا وجه الله وأن يُقرضه على أن هذا الإقراض تفريج

لكربات أخيه المسلم : وقد قال – ﷺ – من نفَّس عن مؤمن كربة من كربات الدنيا نفس الله عنه كربةً من كربات يوم القيامة ، ذلك هو الديْن الذى يستفيد فيه الدائن والمدين وفى هذه الحدود إذا مات المدين والله يعلم عنه نيته إلى السداد والذى منعه من السداد عجزه – فإذا ترك مالًا كأرض أو بناء أو آلات أو سلعا ، فلا يصح أن نقسمها على الورثة إلَّا بعد أداء الديْن منها ، فأداء الدّين يقدَّم على إعطاء الورثة حقوقهم بل يقدَّم على الوصية وعلى الوقْف : يقول الله – عز وجل – فى آيتى الميراث اللتين فى سورة النساء : ﴿ **مِنْ بَعْد وصية يُوصَى بها أو دَيْن : من بعد وصية يوصِينَ بها أو دَيْن :... من بعد وصية تُوصُون بها أو ديْن** ﴾ الآيتان [النساء : ١١–١٢] .

وبذلك تدرك خطر الديْن وأنه يجب ألا ألجأ إلى الاستدانة إلَّا مضطرا ، وأن أكون شديدا لحرص على الأداء . يقول – ﷺ – « **نفسُ المؤمن معلَّقة بدينه حتى يقضى عنه** »[1] . فإذا لم يترك ميراثا من بعده فليعلم أخوانُه أنه عرضة لأن يُعذَّبَ بعد موته بسبب هذا الديْن ، وأخوانه يتألمون لألمه ، ويتمنَّون له أنْ يريحه الله فى قبره ، فيقوم أحدهم أو كلهمْ أو جماعة منهم بأداء دينه ، عندئذ يأخذون ثوابا ، والمدين نفسه يستريح فى قبره . حسبك أن تعلم أن الرسول امتنع عن الصلاة على المَدِين .

فلقد قالوا له : يا رسولَ الله ، إنَّ أخاً لنا مات فتعال فصلّ بنا عليه ، فقال – ﷺ –: « **أعليْه دين ؟ قالوا : نَعَم ، قال : فصلُّوا أنتم ، فخاف الصحابة عليه ألَّا يستريحَ فى قبره بسبب الديْن ، فقام صحابى جليل وقال النبى – ﷺ – يا رسول الله ، أعاهدك أن أقضى أنا ديْنَه : فقام النبى – ﷺ – فصلَّى عليه ، وفى اليوم الثانى قال النبى – ﷺ – لذلك الصحابى : هل قضيتْ ديْن أخيك ؟ فقال الصحابىُّ : لم يمض إلَّا يوم ، وفى اليوم الثالث سأله النبى – ﷺ –: أقضيت ديْن أخيك ؟ قال : نعَم . فقال – ﷺ – الآن بَرَدَ جلْدُه** » والتعبير بقوله – ﷺ – بَرَدَ جلدُه يعطى أنه كان متعبا فى قبره بسبب ديْنه ، والآن استراح ، وانظر الذى لم يبرد جلده كيف تكون متاعبه ؟

وبذلك يتضح أنك إذا أَديْت ديْن أخيك نفعته أىَّ نفع ، حسبُك أنه بردَ جلدُه .

استطراد فى بيان خطَر الديْن .

١ - لقد كان النبى - ﷺ - يدعُو ويقول : وأعوذ بك من المأثم والمغرم ، والمأثم الذَّنب والمغرم الديْن ، فانظر كيف جعل الديْن بجوار الذنب ! ويقول : وأعوذ بك من غلبة الديْن وقهر الرجال ، لذلك قالوا : يا رسول الله ، ما أكثر ما تستعيذ من المغرم ! قال - ﷺ -: « إن الرجلَ إذا غَرِم (أى كان عليه ديْن)**- حدَّث فكذب ، ووعد فأخلف .**

٢ - أمر الله توثيقا للديْن أن تكتبه وأن تشهد عليه قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بديْن إلى أجل مسمى فاكتبوه ..** ﴾ وقال : ﴿ **واستشهدوا شهيدَيْن من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلَيْن فرجلٌ وامرأتان ..** ﴾ الآية [البقرة : ٢٨٢] . وإذا لم نجد الكاتب ولا الشاهد كان من حق الدائن أن يترك المدينُ عنده رَهْناً قال تعالى : ﴿ **وإنْ كنتُم على سفر ولم تجدوا كاتبا فَرِهَانٌ مقبوضة ...** ﴾ آية الديْن فى سورة [البقرة : ٢٨٣] .

لقد عد الإسلام الديْن أمانة فقال : ﴿ **فإنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِ الذى آؤتُمِنَ أمانَتَهُ ، ولْيَتَّقِ الله ربَّهُ ...** ﴾ الآية التى بعد آية الدَّيْن من سورة [البقرة : ٢٨٣] وقد سبق أن قلتُ : إن المدين إذا أراد أن يؤدى الديْن أدَّى الله عنه فما معنى أَدَى الله عنه ؟ يتسع هذا التعبير المحمدى لمعان متعددة فالله - عز وجل - قد يعينه على الأداء فى الدنيا فيموتُ مستريح البال ، وقد يقيّض له من إخوانه مَن يؤدى عنه ، وإذا لم يتيسر شيء منهما فيوم القيامة يعطى الله - عز وجل - هذا الدائن من فضله من نعيم الجنّة ..

وقد سبق أن قلتُ : ومَن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله .

فما معنى أتلفه الله ؟ أيضا يتسع هذا التعبير لمحمدى لعدة معان فقد يصيبه الله بكوارث فى الدنيا ، وقد لا يوجد من يؤدى عنه بعد موته ، فإذا لم يكن شيء من ذلك ، فإن الله سوف يَعُدُّ هذا المدين ظالما ، ويجمع يوم القيامة بينه وبين الدائن ويكون القصاص بالطريقة التى ذكرتها لك فى الفصل الذى جعلت عنوانه : معصية المظلوم تضر الظالم فى ص ٣٤ .. .

والخلاصة أنك إذا أديت الديْن عن أخيك المسلم فى الحدود التى ذكرتها لك فى هذا الفصل فد نفعته ، وبهذا يكون عملك الصالح قد انتفع به أخوك المسلم .

هل تضر معصيتُك أولادَك وأحفادَك ؟

تعلمْنا من مشايخنا – رضى الله عنهم – سواءمَنْ قَضَىَ نَحْبه ومن ينتظر – أنهم قالوا : كلُّ الناس ما عدا رسولَ الله – ﷺ – يصيبون ويخطئون ، ومن كان من هؤلاء المشايخ حيّا فإنه لا يتبرّم بالنقد ، ومن مات منهم لا يتبرم أحباؤه بنقده ، فالرجال يعرفون بالحق ، ولا يعرف الحق بالرجال .

وعلى هذا الأساس فمع محبتى الشديدة لابن القيم – رضى الله عنه – فإننى أقف وقفه تأمل وفحص أمام إيراده فى كتاب الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافعى حديثا قدسياً يتنافى مع قوله تعالى : ﴿ **ولا تزرُ وازرة وِزْرَ أخرى** ﴾ [الإسراء : ١٥] . ويفيد أن المعصية قد تضر الأبرياء ، ذلك الحديث قوله : وإذا سخطتُ لعنت ، ولعنتنى تبلغ السابع من الولد فما ذنب السابع من الولد ؟ نَعَم ، قد ذكرتُ أن المعصية من العبد قد تضر غيره ولكن فى حدود ذكرتُها فى هذا البحث ، والقارىء لبحثى هذا عندما يقرأ هذا الحديث يهتز ويضطرب ويقف وقفة تأمل ، هذا الحديث عنده بمثابة الجسم الغريب يطرده أعطاء الجسم ، فالذين يرون أن المعصية تضر غير فاعلها قد يدفعهم التغالى إلى قبول هذا الحديث .

والغريب أن الشيخ محمد حامد الفقى – رضى الله عنه – طبع هذا الكتاب وعلّق عليه ولم يعلْق على هذا الحديث .

نحن قد عرفْنا أن عقيدة النصارى أنَّ ذنوب الطائفة يتحملها عنهم المسيح ، يفديهم منها ويسمى عندهم المخلص وتسمى العقيدة عقيدة الفداء ، وهى من أسباب تأليههم لعيسى وقالوا : إن آدم لما أخطأ انتقلت جرثومة الخطأ إلى بَنِيهِ فما ذنب بنيه ؟ ثم إن عيس عرّض نفسه للقتل والصلب مختارا ليفدى الطائفة ولقد تأثروا فى هذا باليهود فمن أباطيلهم أن داود لما أخطأ قال الله له : لقد ألزمتها ذريتك من بعدك .

إن المسلم الذى حظى من دينه بمعرفة ما يجب معرفته يستطيع أنْ يثبت بطلان هذه العقيدة وأن يبينَ بحق أنها تتنافى مع قوله تعالى : ﴿ **ولا تزرو وازرة وزر أخرى** ... ﴾ .

ولذلك فإنه كما قلت : يقف موقف الحيرة حين يقرأ هذه العبارة : ولعنتى تبلغ السابع من الولد ، علَى أنها حديث قدسىّ .

فيبدو أن هذا الحديث الذى يسمى القدسى من الإسرائيليات التى أدخلَتْ علينا وأنا لا أعرف تخريج هذا الحديث ولا أعرف أين أُجدُه .

وهل السابع من الولد هو الحفيد السادس أو هو المولود السابع لمن أنجب سبعة أولاد وسواء كان المقصود هذا أو ذاك فإننى لا أستريح لهذا الحديث فهو مغالاة فى دعْوى أن معصيتك قد تضر غيرك .

هل لى أن أتدخل لتبرير عرض هذا الحديث القدسى فى كتاب الجواب الكافى لابن القيم فأقول : إن اللعنة تبلغ السابع من الولد إذا استملح أعمال جَدِّه العاصى واقتدى به ؟ قد يكون هذا التوفيق مقبولا إلى حدّ ما مع ما فيه من التكلف ، وهل نقول : نحن بشر والكمال لله وحده ، ولكل جواد كبوة ؟

هل البكاء على الميت يضره ؟

سترى بعد قراءتك لهذا الفصل أن معصيةَ زيد قد تضر عَمْرا حقاً لكن فى حدود ما ذكرتُ لك وكما قلت لك : إنّ فى النصوص ما يسمى تعارضاً ، وهو فى الحقيقة ليس تعارضا لأن كلًّا من الكتاب والسنة منزه عن التناقض ، بدليل أن الله ، عز وجل – كما قلت لك : قد جنَّد من أوليائه من يوفِّقون بين هذه النصوص ، ويدفعون عنها ما يسمى بالتعارض ، فهناك أحاديث تفيد بظاهرها أن البكاء يضر الميت ، وهناك نصوص تفيد أن النبى دمعت عيناه على ابنه إبراهيم . وسترى للسيدة أُمِّنَا عائشة رضى الله عنه موقفا من هذه النصوص .. .

ثبت أن النبى – ﷺ – قال : إن الميت ليعذّبُ ببكاء أهله عليه ، وقد ثبت أيضا أن النبى – ﷺ – دمعت عيناه على ابنه إبراهيم ، وأباح الدموع :

وقال : إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون – بل إن النبى – ﷺ ماتت حفيدة له فدمع عليها ، ولما تكلم بعض الصحابة مع النبى – ﷺ – فى هذا كأنه يستبعد على النبى أن تدمع عيناه ، فأجابه النبى – ﷺ – بأنها رحمة فكيف وفّق العلماء بينهما توفيقا يجعل الطائفتين من النصوص كأنهما نص واحد ؟ الذى أذكره مما قرأته للشوكانىّ وغيره أن التوفيق كما يأتى :

١ – إذا كان الذى يبكى ويولول ويصرخ – يفعل ذلك بدافع السخط على القدَر وكان الميت يبيح ذلك بل قد يوصى به ، ولم ينكره فى حياته ، ولم يعلن أنه برىء منه فإن البكاء يؤذى الميت وعلى هذا يحمل قوله – ﷺ –: « **إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه** » أما إذا كان ينكر البكاء سخطا على القدر وأعلن أنه برىء منه وكان الذى دمعت عيناه عليه قد فعل ذلك بدافع الفطرة البشرية بدون سخط على القدر فإن الميت لا يعذب بهذه الدموع وعلى هذا تحمل دموع النبى – ﷺ – على ابنه إبراهيم وعلى حفيدته وعلى جعفر وعلى حمزة ... فلا تناقض .

٢ – **التوفيق الثانى** : أنه وهو فى قبره يتألم من البكاء عليه ، كما ترى أنت المنكر وتشمئز منه وتتضايق من فاعله وليس المقصود العذاب الأخروى .

٣ – **التوفيق الثالث** : وهو توفيق السيدة عائشة – رضى الله عنها – فإنها لما بلغها أنَّ النبى – ﷺ – قال : إنّ الميت ليعذب ببكاء أهله عليه قالت : لا ، بل الكافر هو الذى يعذب ببكاء أهله عليه ، وقالت هذا ، لأنه يتنافى عندها مع قوله تعالى : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ ففسرت الميت فى هذا الحديث بالميت الكافر وهو توفيق له قيمته ، لولا أن لفظ النبى – ﷺ –: (الميت) يفيد العموم ...

تجد ذلك فى الكتاب الذى جمع فيه مؤلفُه ما استدركته عائشة على الصحابة وبهذا تدرك متى يضارُّ الميت من البكاء عليه ومتى لا يضار .

المقصود هنا بالنفع والضرر .

النفع هو حسنات تنضم فى صحيفة المنتفع والضرر هو سيئات عافانا الله وإياكم .

متى ينفع الدعاءُ مَنْ تدعو له ؟

سبق أن قلت : إنّ من العمل الصالح الذى تعمله وينتفع به غيرك وتنتفع به أنت – الدعاء ، ولكنْ هل كلُّ دعاء يحقق هذا النفع ؟ . الذى استفدته مما قرأت وتجده فى باب الدعاء فى الترغيب والترهيب : أن الدعاء لا ينفع إلّا بشروط منها :

١ – أن يجعل مطعمه وملبسه ومسكنه ونفعه المادى من حلال ، وقد دل على ذلك قوله – ﷺ –: « **إن الله طيب لا يقبل إلّا طيبا** » ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ **يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، إنى بما تعملون عليم** ﴾ [المؤمنون : ٥] .

وقال : ﴿ **يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا** ﴾ [البقرة : ١٧] ثم ذكر النبى – ﷺ – الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وقد غذى من حرام ، فأنَّى يستجابُ لذلك . وقال معاذ لرسول الله – ﷺ –: « **ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ، فقال – ﷺ –: أَطِبْ مطعمك تكن مستجابَ الدعوة ...** » أَطِبْ : أجعله طيبا (حلالا) . أشعث : شعره غير مُرَجَّل ، لا ينسّق شعره بالمشط . أغبر : امتلا شعره بالغبار : (التراب) والمقصود أنه منْكَبٌّ على الأرزاق انكبابا جعله ينسى أن يزين نفسه غير مبال من الحلال أكل أم من الحرام ، أنى يستجاب . أنَّى اسم استفهام معناه الاستبعاد ، أى يستبعد أن يستجيب الله دعاءه .

٢ – ألا يدعو بإثم أو بقطيعة رحم، مثل المرأة الجهولة التى تدعو على ابنتها أن يفضحها الله ، وكالذى يدعو أن يقطع الله – عز وجل – بينه وبين أقاربه ...

٣ – ألا يستعجل : يقول : دعوت فلم يُسْتَجَبْ لى : يقول – ﷺ – يستجاب لأحدكم ما لم يستعجل ، يقول : دعوت فلم يُسْتَجَبْ لى ، ولكن ليعزم المسألة فإن الله لا مُكْرِه له .

٤ – أن يكون موقنا بالإجابة شديد الرجاء فى أن يستجيب الله له : يقول – ﷺ – أدعو الله و أنتم موقنون بالإجابة .

متى يكون الدعاء أفضل ؟

يكون بمراعاة الأوقات الفاضلة التى يكون الدعاء فيها أرجى للإجابة ومن ذلك :

١ – جوف الليل . والثلث الثانى والثلث الثالث من الليل ... لحديث : ينزل ربنا الحديث .

٢ – عند الأذان والإقامة ...

٣ – يوم الجمعة متحريًّا ساعة الإجابة :

٤ – عقب الصلوات المكتوبة :

٥ – فى السجود : لحديث : أقربُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .

حديث : ينزلُ ربنا : ما معناه : قال – ﷺ – ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من سائل فأجيبه ... وذكَرَتْ أحاديثُ أنه فى الثلث الثانى ، وذكرت أحاديث أنه فى الثلث الثالث ...

وحديث الدعاء يوم الجمعة معناه : إنَّ فى يوم الجمعة ساعةً لا يسأل الله العبدُ فيها شيئا إلا أجابه .

وحديث : الدعاء لا يُرَدُّ بين الأذان والإقامة .

متى تنفع الدعوة إلى الله : الأمر والنهى ؟

ذكرت أنه من بين ما تنفع به أخاك المسلم من عملك أنت أن تدعوه إلى الله عزَّ وجل ، وموضوع الدعوة واسع كتب فيه كثير من أهل العلم ، والكتاب الذى أذكره منها الآن ، كتاب أصول الدعوة لزيدان ، وكتاب تذكرة الدعاة للبهى الخولى ، والذى أستطيع أن أقولَه الآن مبينا شروط نفع الدعوة بحيث تنفعك أنت ثم تنفع من تدعوه وهو المقصود بهذا البحث وأقصد بالانتفاع الثواب الذى يكتبه الله لك لحضور مجلس العلم أما الانتفاع بمعنى أنك تأتمر وتنتهى فهذا مفروغ منه وهو أمر بديهى والدليل على أن الذى يستمع إلى العلم ينتفع انتفاعا أخرويا

ويثاب : قوله – ﷺ – فيما رواه أبو هريرة فى (مسلم) : وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلّا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفّتهم املائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ثم إن الضمير فى قوله تعالى : ﴿ **وأؤلئك هم المفلحون** ﴾ فى قوله : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ويَنْهَون عن المنكر ، وأؤلئك هم المفلحون** ﴾ أقول : الضمير يعود على الداعى وعلى المدعُو .. فلكى تحقق الدعوة هذا الانتفاع وهو الثواب الذى يأخذه المدعُوّ : لابد من شروط أذكر منها :

١ – أن يقصد كلٌّ من الداعى والمدعوّ وجه الله .

٢ – ألَّا يخرج ما تدعو إليه الناس عن الكتاب والسنة ، فلا تذكر لهم خرافات ولا أساطير ولا أحاديث موضوعة وإنما يسمعون منك العلم المحمدى النقىَّ من الدخيل ، وذلك يدعوك إلى أن تتحرى صحة ما تقول .

٣ – أنْ يكون الداعى حليماً وسطاً بين الذين يَغْتَرون بكرم الله والذين يقنطون من رحمة الله مراعيا الأوقات المناسبة .

٤ – أن تعمل بما سمعت والدليل على أنه ينفع حديث : مَنْ دعا إلى هدى كان له أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة ... وتتمة الحديث : ومن دعا إلى ضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة وهذه التتمة تفيد أن الداعى إلى ضلالة قد ارتكب ذنبا يعاقبه الله عليه ، وهذا العمل وهو الدعوة إلى الضلالة تضرر بها شخص آخر غيرك وهو الذى سمعها وتأثر بها ..

ولهذا فإنه لا تناقض بين قوله تعالى :

وما هم بحاملين من خطاياهم من شيءٍ إنهم لكاذبون ، وبين ولَيَحْمِلُنَّ أثقالَهم وأثقالا مع أثقالهم ولَيُسْئَلُنَّ يوم القيامة عما كانوا يفترون .

لا تناقض : مع أن البعيد عن صحبة القرآن يقول . الجملتان فى آية واحدة والأولى تفيد أن أحداً لا يَحْمل ذنبَ أحد ، والثانية تفيد أن الداعى إلى ضلالة يحمل ذنب مَنْ يدعوهم .

نعم ، لا تناقض ، لأن **الأولى** تفيد أن الداعين إلى ضلالة لن يستطيعوا أن يدفعوا العذاب عن المدعوِّين فهم كاذبون حين قالوا : ولنحمل خطاياكم أى ندفع عنكم العذاب ونشفع لكم لما لنا من الجاه عند الله .

الثانية : تفيد أن هؤلاء الداعين سوف يضاعف الله عقابهم ، فيعاقبهم على ارتكاب الإثم إثم الدعوة إلى الضلالة ، ويحملون ذنب المدعوّين من حيث إنهم كانوا السبب فى ارتكابهم الإثم ، لأنهم أى المدْعُوُّونَ قلدوا الداعين يؤكد هذا المعنى : أن فى الكتاب الذى بعثه النبى - ﷺ - إلى هرقْل .

وإن تتولَّ فإن عليك إثم الإريسيّين وهم الفلاحون أتباعه كما أنه إذا دعاهم إلى الإسلام فأسلموا وأسلم معهم كان له أجران ، أجر إيمانه هو وأَجْرُ إيمانهم ، وإذَنْ فدعوته قومه إلى الإسلام لو تحققت سيكون له عليها ثواب ، ثم أتباعه يثابون أيضا ، فدعوته نفعتهم ...

الذى قصَّرتُ فيه

إننى لا ينقضى إعجابى بالإخوة الذين يكتبون فى المعارف الإسلامية ، ثم يستدلون على ما يقولون ، فيذكرون الأحاديث بلفظها وتخريجها ، ذلك عمل عظيم .

وأنا هنا قصّرت فى أَننى أذكر بعض الأحاديث بمعناها ولا أذكر عمن رويت ، ولا أَين نجدها فأرجو أن أتدارك ذلك إن شاء الله بقدر الإمكان فى آخر الكتاب ، وأرجو أن أتدارك ذلك فى أى شىء أكتبه بعد هذا البحثِ ، وإن كان لى عذر فهو أن المطبعة تستعجلنى ولأنَّ الرغبة الملحّة فى النفع اعجلتنى .

الاعتراف بالفضل لأهله .

حرصت فى هذه الرسالة على أن أعترف بالفضل للذين علّمونى فاستطعت بفضل تعليمهم إياى - والفضل الحقيقى لله وحده - أن أدعو باللسان ، ثم شاء الله أن أدعو بالقلم ، نَعَمْ ، الفضل الحقيقى لله وحده ، ولكنْ الرسول - ﷺ -

عَلَّمَنا أن نعترف بالفضل لأهله ، يقول - ﷺ -: « **مَنْ أَسدى إليكم معروفا فكافئون ، فإن لم تستطيعوا فاذْعُوا له** » وورد أيضا : « **عبدى لن تشكرنى حتى تشكر من أجريت نعمتك على يديه** » .

وورد أيضا : من لم يشكر الناس لم يشكر الله ...

أما ربُّنا - عز وجل - صاحب الفضل الحقيقى علينا جميعا فنرجو أن يعيننا على شكره كما أعاننا على مثل هذا الأمر .

لهذا أحببت أن أودعَ هذه الرسالة التحدث عن أصحاب الفضل علىَّ ذاكراً لهم فضلهم ، ولعلّها تكون طريقة حسنة يتبعها المؤلفون جميعا بعد ذلك ..

أسأل الله - عز وجل - أن يسبغ نعمة العافية والسلامة على كل الذين علمونى أسأل الله أن يغفر لحيهم وميتهم وأن يرحمهم ، وأن يجزيهم عنا أحسن الجزاء .

وأذكر منهم الذين علمونى القراءة والكتاب بالطريقة القديمة الصحيحة التى تعتمد على معرفة حركات الكلمة وسكناتها والشدّة والمد ... تلك الطريقة التى سهّلت لى القراءة فى المصحف .

وأذكر منهم الشيخ عبد المالك ، والشيخ أحمد جعفر ، والشيخ على الحسْملى ، وأذكر منهم الذى حفظت القرآن على يديه وهو الشيخ محمد خليل عشيبة . وأذكر الذين تلقيت عليهم العلم فى الأزهر ، وأذكر منهم الشيخ حسن خليفة ، والشيخ عبد الرحمن أبا النصر ، والشيخ أحمد أبو العلا ، والشيخ سيد حبيبة ، والشيخ عبد الرحيم الجندى ، والشيخ عبد الحميد الشاذلى ومن لا أذكره الآن كالشيخ الأودن المناضل المعذّب فى سبيل الله وأذكر الذين درست عليهم المنهج السلفى الذى يعَوِّل على العلم النبوى صافيا نفيا من الدخيل وأذكر منهم : الشيخ محمد حامد الفقى ، والشيخ أحمد بكار والشيخ عبد العزيز بن راشد النجدى ، والشيخ عبد الرزاق عفيفى وفى السعودية الشيخ ابن باز ، والشيخَ أبا بكر الجزائرى، وأذكر بالحب والترحم الشيخ حسن البنا فقد كان فى الحلمية فى القاهرة فى الخمسينات يلقى دروسا فى التفسير متتابعة رحمه الله رحمة واسعة وقد كنت مغْنِيا بها ...

أذكر الذين لم أرهم ولم أحضر مجالسهم وإنما تتلمذت على كتبهم ، وأذكر منهم : ابن تَيْمِية - ابن القيم - الشوكانى - الصنعانى - النووى - الحافظ ابن حجر - ابن كثير - الزمخشرى - الرازى - ابن رشد ...

فإذا سألتنى عن المراجع فرسالتي هذه مأخوذة من بعض ما تقدم ، وقد رأيت المؤلفين لا يذكرون من المراجع إلَّا الكتب ، مع أن هناك مراجع ينبغى ألا تنسى وهى تلك المجالس التى شافهت فيها ورأيت بعينى وسمعت بأذنى وكتبت بقلمى ما أسمعه ...

ولا أنسى الفضل - بعد الله لرسول الله - ﷺ - فهو الذى أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور ولا نملك له مكافأةً إلَّا أن نكثر من الصلاة والسلام عليه ، فإن ساغ لى أن أصفه بعباراتى فإنى أقول إنه - ﷺ - مُعَلِّمُ المعلّمين وأستاذ الأستاذِين .

تخريج ما أمكن من الأحاديث المذكورة فى الرسالة

١ – حديث : **لعن الله زوارات القبور** ، رواه أحمد والحاكم وأبو داود عن حسان بن ثابت ، وأحمد والترمذى ، وابن ماجة عن أبى هريرة : فى ص ١٧٥ أسنى المطالب لابن الدرويش .

٢ – حديث : **لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج .** رواه الترمذى وأبو داود والنسائى والحاكم عن ابن عباس . وحسنه الترمذى وفيه أبو صالح مولى أم هانىء ، قال عبد الحق : هو عندهم ضعيف .. المرجع السابق .

٣ – حديث : **اقرءوا على موتاكم (يس)** . رواه أبو داود والنسائى وصححه ابن حبان وقال الدارقطنى : ضعيف مجهول المتن ، وقد سبق أن ذكرت تقويم أبى داود له .

٤ – حديث : **اشفعوا تؤجروا** . متفق عليه من حديث أبى موسى : من كتاب تمييز الطيب من الخبيث ص ٢١

٥ – **حديث من نفس عن مؤمن كربة** ... رواه مسلم عن أبى هريرة .

٦ – حديث : **من تشبه بقوم فهو منهم** . رواه أحمد وأبو داود والطبرانى فى الكبير عن ابن عمر مرفوعا به ، وسنده ضعيف ، وقد صححه ابن حبان .

٧ – **حديث نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه** . رواه الترمذى من حديث أبى هريرة مرفوعا وحسنه الترمذى .

٨ – حديث : **إذا مات ابن آدم أنقطع عمله** ... رواه مسلم وغيره وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله أجمعين .

فهرس الموضوعـات

الموضـوع | الصفحة